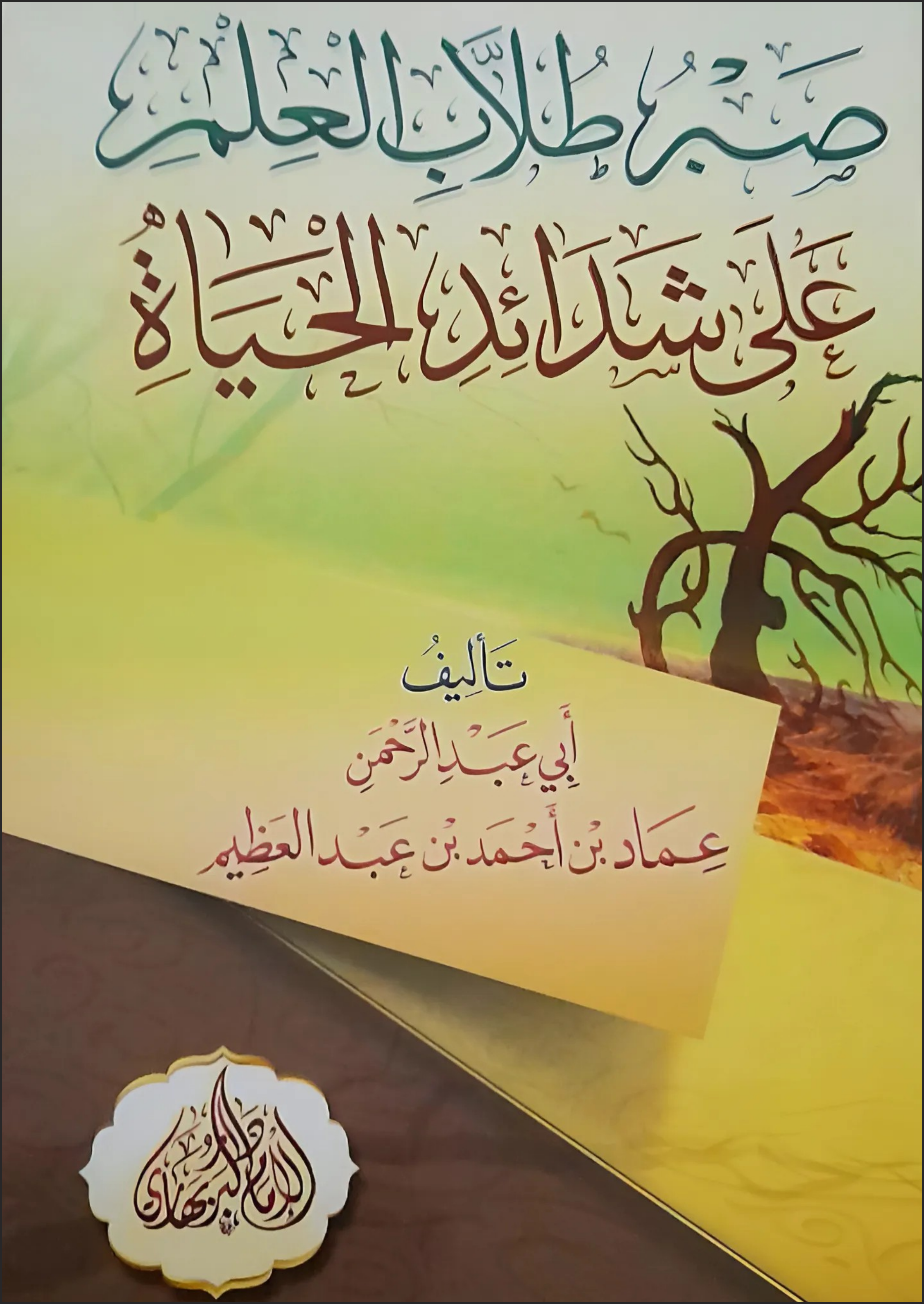


صبر طلاب العلم
على شدائد الحياة
تأليف
أبي عبد الرحمن
عماد بن أحمد بن عبد العظيم
الإمام البربهاري



تأليف

أبي عبد الرحمن

عماد بن أحمد بن عبد العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ / ٢٠٢١م

رقم الإيداع



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، إنه من يهدِ الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ (آل عمران).

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ (النساء).

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧١﴾ (الأحزاب).

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثمّ أمّا بعد:

فإن أهل الحديث قَوْم سَلَكُوا مَحَجَّةَ الصَّالِحِينَ، وَاتَّبَعُوا آثَارَ السَّلَفِ مِنَ الْمَاضِينَ وَدَمَغُوا أَهْلَ الْبِدَعِ وَالْمُخَالِفِينَ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ قَوْم آثَرُوا قَطْعَ الْمَفَاوِزِ وَالْقِفَارِ عَلَى التَّنَعُّم فِي الدِّمَنِ وَالْأَوْطَارِ وَتَنَعَّمُوا بِالْبُؤْسِ فِي الْأَسْفَارِ، مَعَ مُسَاكَنَةِ الْعِلْمِ وَالْأَخْبَارِ، وَقَنَعُوا عِنْدَ جَمْعِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ

بِوُجُودِ الْكِسَرِ وَالْأَطْمَارِ، قَدْ رَفَضُوا الإِلْحَادَ الَّذِي تَتُوقُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الشَّهْوَانِيَّةُ، وَتَوَابِعُ ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْمَقَايِيسِ وَالْآرَاءِ وَالزَّيْغِ جَعَلُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتَهُمْ، وَأَسَاطِينَهَا تكَأَهُمْ، وَبَوَارِيَها فُرُشَهُمْ[١].

وَلَقَدْ صَدَقَا جَمِيعًا أَنَّ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ خَيْرُ النَّاسِ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ نَبَذُوا الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا وَرَاءَهُمْ، وَجَعَلُوا غِذَاءَهُمُ الْكِتَابَةَ وَسَمَرَهُمُ الْمُعَارَضَةَ وَاسْتِرْوَاحَهُمُ الْمُذَاكَرَةَ، وَخَلُوقَهُمُ الْمِدَادَ، وَنَوْمَهُمُ السُّهَادَ، وَاصْطِلَاءَهُمُ الضِّيَاءَ، وَتَوَسُّدَهُمُ الْحَصَى فَالشَّدَائِدُ مَعَ وُجُودِ الْأَسَانِيدِ الْعَالِيَةِ عِنْدَهُمْ رَخَاءٌ، وَوُجُودُ الرَّخَاءِ مَعَ فَقْدِ مَا طَلَبُوهُ عِنْدَهُمْ بُؤْسٌ فَعُقُولُهُمْ بِلَذَاذَةِ السُّنَّةِ غَامِرَةٌ، قُلُوبُهُمْ بِالرِّضَاءِ فِي الْأَحْوَالِ عَامِرَةٌ، تَعَلُّمُ السُّنَنِ سُرُورُهُمْ، وَمَجَالِسُ الْعِلْمِ حُبُورُهُمْ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ قَاطِبَةً إِخْوَانُهُمْ، وَأَهْلُ الْإِلْحَادِ وَالْبِدَعِ بِأَسْرِهَا أَعْدَاؤُهُمْ[٢].

لذا كان أهل العلم يعلِّمون غيرهم أن من سلك طريق طلب العلم عليه أن يتحلى بالصبر لما يعتري طالب العلم من الفقر والضيق وها هي أقوالهم:

قال شعبة: «من طلب الحديث أفلس، لقد أفلست حتى بعت طستا لأمي بسبعة دنانير»[٣].

---

(١) «علوم الحديث» (ص٢).

(٢) «علوم الحديث» (ص٣).

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٧٠)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٩٩)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٩٤) بإسناد حسن لحال أبي مسلم عبد الرحمن بن يونس.

وقال – أيضا –: « إذا رأيت المحبرة في بيت إنسان فارحمه، وإن كان في كمك شيء فأطعمه»[١].

وعن ابن القاسم، قال: كان مالك يقول: إن هذا الأمر لن ينال حتى يذاق فيه طعم الفقر» ثابت سيأتي تخريجه.

وعن علي بن خشرم، قال: سمعت سفيان بن عيينة، يسأل رجلا ما حرفتك؟، قال: طلب الحديث، قال: بشر أهلك بالإفلاس» أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٥٧) بإسناد ثابت.

وقال الْحُمَيْدِي: سَمِعْتُ سُفْيَانَ، يَقُولُ: «لَا تَدْخُلْ هَذِهِ الْمَحَابِرُ بَيْتَ رَجُلٍ إِلَّا أَشْقَى أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ»[٢].

وقَالَ سُفْيَانُ: إِنِّي كُنْتُ عِنْدَ مِسْعَرٍ، فَنَظَرَ إِلَيَّ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ جِيَادٌ نَبِيلٌ، فَقَالَ لَهُ مِسْعَرٌ: أَنْتَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ؟، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَيْسَ هَذَا مِنْ آلَةِ مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ»[٣].

قال الشافعي: لا يصلح طلب العلم إلا لمفلس، قيل: وإن كان مكفيا؟، قال: وإن كان مكفيا، قال: وأحسبه حكاه عن غيره[٤].

---

(١) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٥٩) بإسناد رجاله ثقات غير أبي عيسى محمد بن مالك لم أقف له على ترجمة.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٥)، ومن طريقه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٥٨) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٢٣) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٧٣) بإسناد صحيح إليه.

وقال الفضل بن موسى السيناني[١]: «طلب الحديث حرفة المفاليس، وما رأيت أذل من أصحاب الحديث»[٢].

وأخرج الرامهرمزي في «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» (ص٢٠٢) بإسناد حسن عن الشافعي أنه قال: «لَا يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ مَنْ يَطْلُبُهُ بِالتَّمَلُّكِ وَغِنَى النَّفْسِ فَيَفْلَحُ، وَلَكِنْ مَنْ طَلَبَهُ بِذِلَّةِ النَّفْسِ، وَضِيقِ الْعَيْشِ، وَخَدَمَةِ الْعِلْمِ أَفْلَحَ».

وقال عَبْدُ اللهِ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ» أخرجه مسلم (٦١٢).

قال ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٣٨٥/١):

يَا مَنْ يَرَى الْعِلْمَ جَمْعَ الْمَالِ وَالْكُتُبِ ... خُدِعْتَ وَاللهِ لَيْسَ الْجِدُّ كَاللَّعِبِ

الْعِلْمُ وَيْحَكَ مَا فِي الصَّدْرِ تَجْمَعُهُ ... حِفْظًا وَفَهْمًا وَإِتْقَانًا فِدَاكَ أَبِ

لَا مَا تَوَهَّمَهُ الْعَبْدِيُّ مِنْ سَفَهٍ ... إِذْ قَالَ مَا تَبْتَغِي عِنْدِي وَفِي كُتُبِي

قَالَ الْحَكِيمُ مَقَالًا لَيْسَ يَدْفَعُهُ ... ذُو الْعَقْلِ مَنْ كَانَ مِنْ عَجَمٍ وَمِنْ عَرَبِ

مَا إِنْ يَنَالُ الْفَتَى عِلْمًا وَلَا أَدَبًا ... بِرَاحَةِ النَّفْسِ وَاللَّذَّاتِ وَالطَّرَبِ

نَعَمْ وَلَا بِاكْتِسَابِ الْمَالِ تَجْمَعُهُ ... شَتَّانَ مَا بَيْنَ اكْتِسَابِ الْعِلْمِ وَالذَّهَبِ

أَلَيْسَ فِي الْأَنْبِيَاءِ الرُّسْلِ أُسْوَتُنَا ... عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ الرَّبِّ ذِي الْحُجُبِ

---

(١) هو الفضل بن موسى السيناني، أبو عبد الله المروزي، ثقة ثبت.

(٢) أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٥٨) بإسناد حسن لحال أبي سعيد محمد بن الفضل المذكر.

حَازُوا الْعُلُومَ وَعَنْهُمْ حَمَلَةٌ وَرِثَتْ ... وَعَاشَ أَكْثَرُهُمْ جَهْلًا بِلَا نَسَبِ
إِنَّ الْحَيَاءَ لَخَيْرٌ كُلُّهُ أَبَدًا ... مَا لَمْ يُحَلْ بَيْنَ نَفْسِ الْمَرْءِ وَالطَّلَبِ
وَكُلُّ مَا حَالَ دُونَ الْخَيْرِ لَمْ يَكُ فِي ... مَا بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ الْخَيْرِ مِنْ نَسَبِ

وقد ذكرت في هذه الرسالة جملة من صبر أهل العلم على الشدائد والصعاب التي واجهتهم في الحياة كي يتأسى بهم من بعدهم من طلاب العلم، ويعلم طالب العلم طبيعة هذا الطريق فلا يجزع من الشدائد ويترك الطلب لقلة العيش والفقر، ولكن يصبر ويتحمل حتى يتعلم دين رب العالمين.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الرسالة الإسلام والمسلمين، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم.

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد ﷺ وآله وأصحابه أجمعين.

كتبه
أبو عبد الرحمن
عماد بن أحمد بن عبد العظيم
ت : ٠١٠٢٨٣٨٧٣٣٢

❁ ❁ ❁

صبر نبي الله إسماعيل عليه السلام على قلة العيش وشدائد الحياة:

ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا: فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ: يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟، قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا؟، فَأَخْبَرْتُهُ: أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟، قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ؟، وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَى اللهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟، قَالَتْ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟، قَالَتْ: الْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ**، قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثْبِتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟، قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا؟، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟، قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثْبِتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ

قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَأَيهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ»[١].

صبر نبي الله موسى عليه السلام على قلة الزاد والشدة في رحلته للعلم مع الخضر:

قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: إِنَّ نَوْفًا البَكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ؟ فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللهِ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ العِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ البَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ بِهِ؟ فَقِيلَ لَهُ: احْمِلْ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، فَإِذَا فَقَدْتَهُ فَهُوَ ثَمَّ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقَ بِفَتَاهُ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَحَمَلاَ حُوتًا فِي مِكْتَلٍ، حَتَّى كَانَا عِنْدَ الصَّخْرَةِ وَضَعَا رُءُوسَهُمَا وَنَامَا، فَانْسَلَّ الحُوتُ مِنَ المِكْتَلِ فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ سَرَبًا، وَكَانَ لِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا، فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِهِمَا وَيَوْمَهُمَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: آتِنَا غَدَاءَنَا، لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى مَسًّا مِنَ النَّصَبِ حَتَّى جَاوَزَ المَكَانَ الَّذِي أُمِرَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ قَالَ مُوسَى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، إِذَا رَجُلٌ مُسَجًّى بِثَوْبٍ، أَوْ قَالَ تَسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَسَلَّمَ مُوسَى، فَقَالَ الخَضِرُ: وَأَنَّى بِأَرْضِكَ السَّلاَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا مُوسَى، فَقَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾، يَا مُوسَى إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ عَلَّمَنِيهِ لاَ تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

عِلْمٍ عَلَّمَكَهُ لاَ أَعْلَمُهُ، ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾، فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ، لَيْسَ لَهُمَا سَفِينَةٌ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعُرِفَ الخَضِرُ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَجَاءَ عُصْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَنَقَرَ نَقْرَةً أَوْ نَقْرَتَيْنِ فِي البَحْرِ، فَقَالَ الخَضِرُ: يَا مُوسَى مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا كَنَقْرَةِ هَذَا العُصْفُورِ فِي البَحْرِ، فَعَمَدَ الخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنْ أَلْوَاحِ السَّفِينَةِ، فَنَزَعَهُ، فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا؟ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ -فَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا -، فَانْطَلَقَا، فَإِذَا غُلاَمٌ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَ الخَضِرُ بِرَأْسِهِ مِنْ أَعْلاَهُ فَاقْتَلَعَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ مُوسَى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ۝٧٤ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ -قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: وَهَذَا أَوْكَدُ- ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾، قَالَ الخَضِرُ: بِيَدِهِ فَأَقَامَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾» قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا»**[(١)].

قال ابن حجر:

«هَذَا الْبَابُ مَعْقُودٌ لِلتَّرْغِيبِ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لِأَنَّ مَا يُغْتَبَطُ بِهِ تُحْتَمَلُ الْمَشَقَّةُ فِيهِ وَلِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمْ يَمْنَعْهُ بُلُوغُهُ

(١) أخرجه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

مِنَ السِّيَادَةِ الْمَحَلَّ الْأَعْلَى مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَرُكُوبَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لِأَجْلِهِ فَظَهَرَ بِهَذَا مُنَاسَبَةُ هَذَا الْبَابِ لِمَا قَبْلَهُ»[١].

صبر النبي ﷺ وتحمله لقلة العيش:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَلَقَدْ رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ وَمَشَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: **مَا أَصْبَحَ لِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا صَاعٌ وَلَا أَمْسَى وَإِنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ**»[٢].

قال ابن حجر:

«وفيه ما كان فيه النبي ﷺ من التواضع والزهد في الدنيا والتقلل منها مع قدرته عليها والكرم الذي أفضى به إلى عدم الادخار حتى احتاج إلى رهن درعه والصبر على ضيق العيش والقناعة باليسير»[٣].

لم يأكل خبزا مليناً محسنا إلى أن مات ﷺ:

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ[٤] حَتَّى مَاتَ، وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا[٥] حَتَّى مَاتَ»[٦].

---

(١) «فتح الباري» (١/ ١٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٠٨).

(٣) «فتح الباري» (٥/ ١٤١).

(٤) ما يؤكل عليه الطعام، والأكل عليه دليل التمكن من الأكل والامتلاء من الطعام.

(٥) أي ملينا محسنا كخبز الحواري وشبهه والترقيق التليين ولم يكن عندهم مناخل وقد يكون المرقق الرقيق الموسع والرقاق ما لان من الأرض واتسع.

(٦) أخرجه البخاري (٦٤٥٠).

وفي رواية:

قَالَ: «مَا عَلِمْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَكَلَ عَلَى سُكْرُجَةٍ[١] قَطُّ، وَلاَ خُبِزَ لَهُ مُرَقَّقٌ قَطُّ، وَلاَ أَكَلَ عَلَى خِوَانٍ[٢] قَطُّ» قِيلَ لِقَتَادَةَ: فَعَلاَمَ كَانُوا يَأْكُلُونَ؟ قَالَ: «عَلَى السُّفَرِ[٣]»[٤].

عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعِنْدَهُ خَبَّازٌ لَهُ، فَقَالَ: مَا أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ خُبْزًا مُرَقَّقًا وَلَا شَاةً مَسْمُوطَةً[٥] حَتَّى لَقِيَ اللهَ»[٦].

---

(١) هي قصاع يوضع فيها المشهيات كالسلطة ونحوها.

(٢) طبق مرتفع يوضع عليه الطعام وهو ما يسمى الآن بالطاولة والمنضدة.

(٣) جمع سفرة وهي جلد مستدير حوله حلق من حديد يضم به ويعلق وكان يوضع فيه زاد المسافر الذي هو السفرة في الأصل ويمكن أن تطلق على كل ما يوضع على الأرض ويوضع عليه الطعام.

ويبدو أن هذا كان غالب فعله ﷺ.

فقد روى ابن عباس أنه قال: «بينما النبي ﷺ وعنده الفضل بن عباس، وخالد بن الوليد، وامرأة أخرى؛ إذ قُرِّب إليهم خُوان عليه لحم» أخرجه مسلم (١٩٤٨).

قال القرطبي -وهو يجمع بين الحديثين-:

«وفيه دليل على جواز اتخاذ الأخونة والأكل عليها، فإن النبي ﷺ قد كان له خوان وأكل عليه بحضرته على ما اقتضاه ظاهر الحديث، وما روي أنه ﷺ وأصحابه لم تكن لهم موائد، وأنهم كانوا يأكلون على السُّفر، فذلك كان غالب أحوالهم، والله أعلم».

(٤) أخرجه البخاري (٥٣٨٦).

(٥) هي التي أزيل شعرها وصوفها بوضعها في الماء الحار ولم يسلخ جلدها وقيل هي المشوية بجلدها بعد ذلك.

(٦) أخرجه البخاري (٥٣٨٥).

قلة ما كان يأكل ﷺ وزوجاته رضي الله عنهن:

وعند مسلم (٢٩٧٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زوج النبي ﷺ قالت: لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين».

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر[1] ثلاث ليال تباعا[2] حتى قبض»[3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ طَعَامٍ[4] ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ[5] حَتَّى قُبِضَ»[6].

وفي رواية:

قال أبو حازم: رأيت أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشير بأصبعه مرارا يقول: والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع نبي الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا»[7].

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَابِسٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ لِعَائِشَةَ أَنَهى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ؟، قَالَتْ: مَا فَعَلَهُ إِلَّا فِي عَامٍ جَاعَ النَّاسُ

---

(١) القمح.

(٢) متتابعة.

(٣) أخرجه البخاري (٥٤١٦)، مسلم (٢٩٧٠).

(٤) حنطة أو شعير أو نحوهما مما يقتات به.

(٥) أي متواليات.

(٦) أخرجه البخاري (٥٣٧٤)، ومسلم (٢٩٧٦).

(٧) أخرجه مسلم (٢٩٧٦).

فِيهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُطْعِمَ الْغَنِيُّ الْفَقِيرَ، وَإِنْ كُنَّا لَنَرْفَعُ الْكُرَاعَ[١] فَنَأْكُلُهُ بَعْدَ خَمْسَ عَشْرَةَ، قِيلَ: مَا اضْطَرَّكُمْ إِلَيْهِ؟، فَضَحِكَتْ، قَالَتْ مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ مَأْدُومٍ[٢] ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى لَحِقَ بِاللهِ»[٣].

وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ لم يجمع له غداءا ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضفف»[٤].

وكانوا يمكثون الشهرين المتتابعين لا يوقد في بيوتهم نار:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثُمَّ الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ، فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ، مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟، قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنْ الْأَنْصَارِ كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ فَيَسْقِينَا»[٥].

وعنها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نُوقِدُ فِيهِ نَارًا، إِنَّمَا هُوَ التَّمْرُ وَالْمَاءُ إِلَّا أَنْ نُؤْتَى بِاللُّحَيْمِ[٦]» أخرجه البخاري (٦٤٥٨).

---

(١) هو ما استدق من ساعد الشاة أو البقرة.

(٢) يؤكل معه إدام والإدام كل ما يؤكل مع الخبز.

(٣) أخرجه البخاري (٥٤٢٣).

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٠٣) بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٥٩)، مسلم (٢٩٧٢).

(٦) تصغير لحم وأشارت بذلك إلى قلته.

وكانوا يأكلون خبز الشعير وهو غير منخول:

عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، فَقُلْتُ: هَلْ أَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّقِيَّ؟، فَقَالَ سَهْلٌ: مَا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّقِيَّ(١) مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: هَلْ كَانَتْ لَكُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَنَاخِلُ؟، قَالَ: مَا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْخُلًا مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟، قَالَ: كُنَّا نَطْحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ(٢) فَيَطِيرُ مَا طَارَ وَمَا بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ(٣) فَأَكَلْنَاهُ»(٤).

عَنْ أُمِّ أَيْمَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا غَرْبَلَتْ دَقِيقًا، فَصَنَعَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ رَغِيفًا، فَقَالَ: **مَا هَذَا؟**، فَقَالَتْ: طَعَامٌ نَصْنَعُهُ بِأَرْضِنَا، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ مِنْهُ رَغِيفًا، فَقَالَ: **رُدِّي فِيهِ وَأَعْجِنِيهِ**»(٥).

وعند المعافى بن عمران في «الزهد» (٢٤٧) بسند حسن عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: كان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ينهى أن يتخذ المنخل، ويقول: «إنما عهدنا

(١) الخبز الأبيض الذي ينخل دقيقه بعد طحنه.

(٢) ليطير قشره.

(٣) بللناه بالماء وعجناه ثم خبزناه فأكلناه

(٤) أخرجه البخاري (٥٤١٣).

(٥) **حديث صحيح:** أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ٣٨٦)، وابن ماجه (٣٣٣٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ٨٧)، وابن أبي الدنيا في «الجوع» (١٧٦) بإسناد صحيح يعقوب بن حميد متكلم فيه ولكن متابع من خالد بن خداش وهو صدوق كما في «الجوع» وعبد العزيز بن عمران بن أيوب بن مقلاص وهو ثقة كما عند الطبراني في «الكبير».

بالشعير حديثا، فما ترضون أن تأكلوا سمراء الشام، حتى تنخلوه».

حتى التمر الردئ لم يجده ﷺ كي يسد جوعه:

وعند مسلم (٢٩٧٨) قال النعمان رضي الله عنه وهو يخطب: قال: ذكر عمر رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا، فقال: لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوى ما يجد دقلا[١] يملأ به بطنه».

وعن سماك، قال: سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر: ما كان النبي ﷺ أو نبيكم يشبع من الدقل وما ترضون دون ألوان التمر والزبد؟!»[٢].

ومن شدة ما كانوا فيه كانت بعض ولائمهم ليس فيها لحم ولا خبز:

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَلِيمَةً مَا فِيهَا خُبْزٌ وَلَا لَحْمٌ»[٣].

تعليم النبي ﷺ جابر رضي الله عنه الصبر على قلة العيش:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قال: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ فِلَقًا[٤] مِنْ خُبْزٍ، فَقَالَ: **«مَا مِنْ أُدُمٍ؟»** فَقَالُوا: لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ: **«فَإِنَّ الْخَلَّ نِعْمَ الْأُدُمُ»**، قَالَ جَابِرٌ: «فَمَا زِلْتُ أُحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ»[٥].

---

(١) الدقل: بفتح الدال والقاف: وهو تمر ردئ.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٠٦) بإسناد حسن.

(٣) أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (١٢٨٣)، وأحمد (٣/ ١٩٥)، وغيرهما بإسناد صحيح.

(٤) أي كسرا الواحدة فلقة وزان كسرة.

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٥٢).

وفي رواية:

قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي دَارِي، فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَى بَعْضَ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَدَخَلَ ثُمَّ أَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ الْحِجَابَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: **«هَلْ مِنْ غَدَاءٍ؟»** فَقَالُوا: نَعَمْ، فَأُتِيَ بِثَلَاثَةِ أَقْرِصَةٍ، فَوُضِعْنَ عَلَى نَبِيٍّ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرْصًا، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَخَذَ قُرْصًا آخَرَ، فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيَّ، ثُمَّ أَخَذَ الثَّالِثَ، فَكَسَرَهُ بِاثْنَيْنِ، فَجَعَلَ نِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَنِصْفَهُ بَيْنَ يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ: **«هَلْ مِنْ أُدُمٍ؟»** قَالُوا: لَا إِلَّا شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ: **«هَاتُوهُ، فَنِعْمَ الْأُدُمُ هُوَ»**[(١)].

أكل النبي ﷺ للتمر مقعيا[(٢)] من الجوع:

أخرج ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٠٧) بإسناد قوي[(٣)] عن مصعب بن سليمان الزهري، قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه وهو يقول: أهدي للنبي ﷺ تمر فأخذ يهديه قال ثم رأيته يأكل منه مقعيا من الجوع».

وكان الجوع يعرف من أصواتهم لضعفهم:

عن أنس رضي الله عنه، قال: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا، أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ

---

(١) أخرجها مسلم (٢٠٥٢).

(٢) أي جالسا على أليتيه ناصبا ساقيه، وانظر الوارد في صفة جلوس النبي ﷺ للطعام في كتابي «تنبيه الأنام بذكر آداب الطعام».

(٣) والحديث عند مسلم بنحوه.

دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي وَلاَثَتْنِي[١] بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**آرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**بِطَعَامٍ**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «**قُومُوا**» فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، مَا عِنْدَكِ**» فَأَتَتْ بِذَلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً[٢] فَأَدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**» فَأَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلًا»[٣].

تعصيب النبي ﷺ بطنه بعصابة من الجوع وهو يحدث أصحابه رضي الله عنهم:

عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قال: جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُهُمْ، وَقَدْ عَصَّبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، قَالَ أُسَامَةُ: وَأَنَا أَشُكُّ عَلَى حَجَرٍ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ لِمَ عَصَّبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَطْنَهُ؟ فَقَالُوا: مِنَ الْجُوعِ،

(١) **وَلاَثَتْنِي**: لفت بعضه على رأسه وبعضه على إبطه من الالتياث وهو الالتفاف.

(٢) **عُكَّةً**: إناء مستدير من جلد يجعل فيه السمن والعسل غالبا.

(٣) أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

فَذَهَبْتُ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيْمٍ بِنْتِ مِلْحَانَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ عَصَّبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: مِنَ الْجُوعِ، فَدَخَلَ أَبُو طَلْحَةَ عَلَى أُمِّي، فَقَالَ: هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، عِنْدِي كِسَرٌ مِنْ خُبْزٍ وَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ جَاءَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَحْدَهُ أَشْبَعْنَاهُ، وَإِنْ جَاءَ آخَرُ مَعَهُ قَلَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ذَكَرَ سَائِرَ الْحَدِيثِ بِقِصَّتِهِ[١].

وكان غالب طعام طلاب العلم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم التمر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ تَمْرًا، فَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَانِي سَبْعَ تَمَرَاتٍ إِحْدَاهُنَّ حَشَفَةٌ[٢]، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ تَمْرَةٌ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْهَا شَدَّتْ فِي مَضَاغِي[٣]»[٤].

وفي رواية:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، قَالَ: أَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ سَنَةً، فَقَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ وَنَحْنُ عِنْدَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا لَنَا ثِيَابٌ إِلَّا الْبِرَادُ الْمُفَتَّقَةُ[٥] وَإِنَّهُ لَيَأْتِي عَلَى أَحَدِنَا الْأَيَّامُ مَا يَجِدُ طَعَامًا يُقِيمُ بِهِ صُلْبَهُ، حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَأْخُذُ الْحَجَرَ فَيَشُدُّهُ عَلَى أَخْمَصِ بَطْنِهِ[٦] ثُمَّ يَشُدُّهُ بِثَوْبِهِ لِيُقِيمَ بِهِ صُلْبَهُ، فَقَسَّمَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤٠).

(٢) وهو أردأ التمر وهو الذي لم يطب في النخلة ولم يتناهى طيبه فييبس.

(٣) أراد أنها كانت قوية عند مضغها وطال مضغه لها كالعلك فلذلك قال فلم يكن فيهن تمرة أعجب إلي منها.

(٤) أخرجه البخاري (٥٤١١).

(٥) أي الكساء العتيقة التي تشققت.

(٦) أي: على بطنه الأخمص، أي: الجائع.

رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَنَا تَمْرًا، فَأَصَابَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا سَبْعَ تَمَرَاتٍ، فِيهِنَّ حَشَفَةٌ، فَمَا سَرَّنِي أَنَّ لِي مَكَانَهَا تَمْرَةً جَيِّدَةً، قَالَ: قُلْتُ: لِمَ؟، قَالَ: تَشُدُّ لِي مِنْ مَضْغِي»[1].

قال بدر الدين العيني:

«إن فيه إشعارا لبيان ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون وأنه في غالب الأوقات التمر ويقنعون باليسير من ذلك»[2].

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: مَا أَكَلَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ أَكْلَتَيْنِ فِي يَوْمٍ إِلَّا إِحْدَاهُمَا تَمْرٌ»[3].

وعند ابن حبان في «صحيحه» (٢/ ٤٦٠) بإسناد حسن عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّا كُنَّا نَشْبَعُ مِنَ التَّمْرِ فَقَدْ كَذَبَكُمْ، فَلَمَّا افْتَتَحَ ﷺ قُرَيْظَةَ أصبنا شيئا من التمر والودك».

وقال معاوية بن قرة، قال لي أبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لقد عمرنا كذا مع نبينا ﷺ وما لنا طعام إلا الأسودان، فقال: وهل تدري ما الأسودان؟، قال: لا، قال: التمر والماء» أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٥) بإسناد صحيح.

وأخرج مالك في «الموطأ» (٣٠) بإسناد صحيح عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يُطْرَحُ لَهُ صَاعٌ مِنْ تَمْرٍ، فَيَأْكُلُهُ حَتَّى يَأْكُلَ حَشَفَهَا».

---

(١) أخرجها أحمد (١٤/ ٥٣) بإسناد صحيح على شرط مسلم.

(٢) «عمدة القاري» (٣٠/ ٣٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٥٥)، ومسلم (٢٩٧١).

قال مالك:

«فلو كان عمر يشبع من الخبز والزيت ما أكل الصاع كله حتى يأكل حشفه، ولم يكن للناس غذاء ولا عشاء مثل هذا الزمان»[١].

وأخرج مالك في «الموطأ» (٣١) بإسناد صحيح عَنْ حُمَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ خُثَيْمٍ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ بِأَرْضِهِ بِالْعَقِيقِ، فَأَتَاهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى دَوَابٍّ فَنَزَلُوا عِنْدَهُ، قَالَ حُمَيْدٌ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اذْهَبْ إِلَى أُمِّي، فَقُلْ: إِنَّ ابْنَكِ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ، وَيَقُولُ أَطْعِمِينَا شَيْئًا، قَالَ: فَوَضَعَتْ ثَلَاثَةَ أَقْرَاصٍ فِي صَحْفَةٍ، وَشَيْئًا مِنْ زَيْتٍ وَمِلْحٍ، ثُمَّ وَضَعَتْهَا عَلَى رَأْسِي، وَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا وَضَعْتُهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، كَبَّرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَشْبَعَنَا مِنَ الْخُبْزِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ طَعَامُنَا إِلَّا الْأَسْوَدَيْنِ: الْمَاءَ وَالتَّمْرَ».

وعَنْ البَرَاءِ ﵁، ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] قَالَ: «نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، كُنَّا أَصْحَابَ نَخْلٍ فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي مِنْ نَخْلِهِ عَلَى قَدْرِ كَثْرَتِهِ وَقِلَّتِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِالقِنْوِ وَالقِنْوَيْنِ فَيُعَلِّقُهُ فِي المَسْجِدِ، وَكَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا جَاعَ أَتَى القِنْوَ فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ فَيَسْقُطُ مِنَ البُسْرِ وَالتَّمْرِ فَيَأْكُلُ، وَكَانَ نَاسٌ مِمَّنْ لَا يَرْغَبُ فِي الخَيْرِ يَأْتِي الرَّجُلُ بِالقِنْوِ فِيهِ الشِّيصُ وَالحَشَفُ وَبِالقِنْوِ قَدْ انْكَسَرَ فَيُعَلِّقُهُ»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَبَارَكَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ﴾ [البقرة: ٢٦٧] قَالُوا: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ مِثْلُ مَا

(١) «شعب الإيمان» (٥/ ٣٦).

أَعْطَى، لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا عَلَى إِغْمَاضٍ أَوْ حَيَاءٍ». قَالَ: «فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي أَحَدُنَا بِصَالِحِ مَا عِنْدَهُ»[١].

وعَنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨] قَالَ الزُّبَيْرُ: أَيْ رَسُولَ اللهِ، أَيُّ نَعِيمٍ نُسْأَلُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا - يَعْنِي - هُمَا الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ؟ قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَلِكَ سَيَكُونُ»[٢].

وعن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: رأيت عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يطرح[٣] له صاع تمر فيأكله حتى يأكل حشفه[٤]»[٥].

وربما كانوا لا يجدون إلا القليل من التمر:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: **«مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»**[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٨٧) بإسناد حسن.

(٢) **إسناده حسن:** أخرجه الترمذي (٣٢٣٦)، وابن ماجه (٤١٥٨)، وغيرهما بإسناد حسن لحال محمد بن عمرو.

(٣) بصيغة المجهول أي يلقي بين يديه.

(٤) بفتحتين أي رديء التمر ويابسه.

(٥) أخرجه مالك في «الموطأ» (٩٢٥)، وغيره بإسناد صحيح على شرط الصحيحين.

(٦) أخرجه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩).

وفي رواية:

أخرجها مسلم (٢٦٣٠) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ، الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**».

وكان عامة خبزهم الشعير:

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء قال وكان عامة خبزهم الشعير»[١].

وأخرج أحمد في «مسنده» بسند حسن عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا كَانَ يَفْضُلُ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ خُبْزُ الشَّعِيرِ».

ما تركه النبي ﷺ بعد موته في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَا فِي رَفِّي[٢] مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ[٣]، إِلَّا شَطْرُ[٤] شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ» أخرجه البخاري (٣٠٩٧)، ومسلم (٢٩٧٣).

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٠٠)، وأحمد في «الزهد» (ص٣٠)، والبزار في «مسنده» (٢/ ١٦٨) بإسناد صحيح.

(٢) قال في القاموس: الرف شبه الطاق عليه طرائف البيت كالرفرف.

(٣) حي من إنسان أو حيوان.

(٤) معناه شيء من شعير كذا فسره الترمذي وقال القاضي قال ابن أبي حازم معناه نصف وسق.

والمعنى: كان الشعير الذي عند عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا غير مكيل فكانت البركة فيه من أجل جهلها بكيله وكانت تظن في كل يوم أنه سيفنى لقلة كانت تتوهمها فيه فلذلك طال عليها فلما كالته علمت مدة بقائه ففني عند تمام ذلك الأمد.

صبر زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قلة العيش بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أخرج مالك في «الموطأ» (٩٢٦) بإسناد صحيح عن عروة، قال: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان عمر بن الخطاب يبعث إلينا بأحظائنا[١] من الأكارع والرؤوس[٢]».

وكان طلاب العلم من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تكاد أن تذهب أسماعهم وأبصارهم من الجوع والمشقة ومع ذلك كانوا يصبرون:

وعَنِ الْمِقْدَادِ[٣] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَقْبَلْتُ أَنَا وَصَاحِبَانِ لِي، وَقَدْ ذَهَبَتْ أَسْمَاعُنَا وَأَبْصَارُنَا مِنَ الْجَهْدِ[٤]، فَجَعَلْنَا نَعْرِضُ أَنْفُسَنَا عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَقْبَلُنَا[٥]، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْطَلَقَ بِنَا إِلَى أَهْلِهِ، فَإِذَا ثَلَاثَةُ أَعْنُزٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«احْتَلِبُوا هَذَا اللَّبَنَ بَيْنَنَا»**، قَالَ: فَكُنَّا نَحْتَلِبُ فَيَشْرَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَّا نَصِيبَهُ، وَنَرْفَعُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصِيبَهُ، قَالَ: فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا

---

(١) أي حظوظنا وأنصبائنا.

(٢) أي أكارع الغنم ورؤوسها عند ذبحها. والمعنى أنا نأكل منها ولا نرغب عنها لزهدنا في الدنيا ورغبتنا في العقبى كذا قال القاري. والأكارع بفتح الهمزة جمع كراع بالضم وهي أطراف الشاة من الأيدي والأرجل.

(٣) هو الصحابي المشهور المقداد بن الأسود.

(٤) هو الجوع والمشقة.

(٥) هذا محمول على أن الذين عرضوا أنفسهم عليهم كانوا مقلين ليس عندهم شيء يواسون به.

يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ، قَالَ: ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ فَيُصَلِّي، ثُمَّ يَأْتِي شَرَابَهُ فَيَشْرَبُ، فَأَتَانِي الشَّيْطَانُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ شَرِبْتُ نَصِيبِي، فَقَالَ: مُحَمَّدٌ يَأْتِي الْأَنْصَارَ فَيُتْحِفُونَهُ، وَيُصِيبُ عِنْدَهُمْ مَا بِهِ حَاجَةٌ إِلَى هَذِهِ الْجُرْعَةِ، فَأَتَيْتُهَا فَشَرِبْتُهَا، فَلَمَّا أَنْ وَغَلَتْ فِي بَطْنِي(١)، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ، قَالَ: نَدَّمَنِي الشَّيْطَانُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ، مَا صَنَعْتَ أَشَرِبْتَ شَرَابَ مُحَمَّدٍ، فَيَجِيءُ فَلَا يَجِدُهُ فَيَدْعُو عَلَيْكَ فَتَهْلِكُ فَتَذْهَبُ دُنْيَاكَ وَآخِرَتُكَ، وَعَلَيَّ شَمْلَةٌ إِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى قَدَمَيَّ خَرَجَ رَأْسِي، وَإِذَا وَضَعْتُهَا عَلَى رَأْسِي خَرَجَ قَدَمَايَ، وَجَعَلَ لَا يَجِيئُنِي النَّوْمُ، وَأَمَّا صَاحِبَايَ فَنَامَا وَلَمْ يَصْنَعَا مَا صَنَعْتُ، قَالَ: فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، ثُمَّ أَتَى شَرَابَهُ فَكَشَفَ عَنْهُ، فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ شَيْئًا، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقُلْتُ: الْآنَ يَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكُ، فَقَالَ: **«اللهُمَّ، أَطْعِمْ مَنْ أَطْعَمَنِي، وَأَسْقِ مَنْ أَسْقَانِي»**، قَالَ: فَعَمَدْتُ إِلَى الشَّمْلَةِ فَشَدَدْتُهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ فَانْطَلَقْتُ إِلَى الْأَعْنُزِ أَيُّهَا أَسْمَنُ، فَأَذْبَحُهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هِيَ حَافِلَةٌ(٢)، وَإِذَا هُنَّ حُفَّلٌ كُلُّهُنَّ، فَعَمَدْتُ إِلَى إِنَاءٍ لِآلِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا كَانُوا يَطْمَعُونَ أَنْ يَحْتَلِبُوا فِيهِ، قَالَ: فَحَلَبْتُ فِيهِ حَتَّى عَلَتْهُ رَغْوَةٌ(٣)، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **«أَشَرِبْتُمْ شَرَابَكُمُ اللَّيْلَةَ»**، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْرَبْ، فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، اشْرَبْ،

---

(١) أي دخلت وتمكنت منه.

(٢) الحفل في الأصل الاجتماع قال في القاموس الحفل والحفول والحفيل الاجتماع يقال حفل الماء واللبن حفلا وحفولا وحفيلا إذا اجتمع وكذلك يقال حفله إذا جمعه ويقال للضرع المملوء باللبن ضرع حافل وجمعه حفل ويطلق على الحيوان كثير اللبن حافلة بالتأنيث.

(٣) هي زبد اللبن الذي يعلوه وهي بفتح الراء وضمها وكسرها ثلاث لغات مشهورات ورغاوة بكسر الراء وحكي ضمها ورغاية بالضم وحكى الكسر وارتغيت شربت الرغوة.

فَشَرِبَ، ثُمَّ نَاوَلَنِي، فَلَمَّا عَرَفْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ رَوِيَ وَأَصَبْتُ دَعْوَتَهُ، ضَحِكْتُ حَتَّى أُلْقِيتُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِحْدَى سَوْآتِكَ يَا مِقْدَادُ**[1]**»**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَانَ مِنْ أَمْرِي كَذَا وَكَذَا وَفَعَلْتُ كَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَا هَذِهِ إِلَّا رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ، أَفَلَا كُنْتَ آذَنْتَنِي فَنُوقِظَ صَاحِبَيْنَا فَيُصِيبَانِ مِنْهَا»**، قَالَ: فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أُبَالِي إِذَا أَصَبْتَهَا وَأَصَبْتُهَا مَعَكَ مَنْ أَصَابَهَا مِنَ النَّاسِ»[2]

وكانوا يصبرون على أكل الطعام متغير الريح والطعم:

قال أنس رضي الله عنه: يُؤْتَوْنَ – الصحابة – بِمِلْءِ كَفِّي مِنْ الشَّعِيرِ فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ تُوضَعُ بَيْنَ يَدَيْ الْقَوْمِ وَالْقَوْمُ جِيَاعٌ وَهِيَ بَشِعَةٌ فِي الْحَلْقِ وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ»[3].

وعن جَابِر بْن عَبْدِ اللهِ قال: «بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِائَةِ رَاكِبٍ أَمِيرُنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ نَرْصُدُ عِيرَ قُرَيْشٍ»، فَأَقَمْنَا بِالسَّاحِلِ نِصْفَ شَهْرٍ، فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلْنَا الخَبَطَ[4]، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الجَيْشُ جَيْشَ الخَبَطِ، فَأَلْقَى لَنَا البَحْرُ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا العَنْبَرُ[5]، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نِصْفَ شَهْرٍ، وَادَّهَنَّا مِنْ وَدَكِهِ[6] حَتَّى

---

(١) أي أنك فعلت سوأة من الفعلات فما هي.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤١٠٠).

(٤) ما يسقط من ورق الشجر إذا ضربتها بالعصا.

(٥) اسم لنوع من الحيتان يتخذ من جلدها التروس.

(٦) شحمه ودهنه.

ثَابَتْ إِلَيْنَا أَجْسَامُنَا[١]، فَأَخَذَ أَبُو عُبَيْدَةَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلاَعِهِ، فَنَصَبَهُ فَعَمَدَ إِلَى أَطْوَلِ رَجُلٍ مَعَهُ، قَالَ سُفْيَانُ: «مَرَّةً ضِلَعًا مِنْ أَضْلاَعِهِ فَنَصَبَهُ وَأَخَذَ رَجُلًا وَبَعِيرًا فَمَرَّ تَحْتَهُ» قَالَ جَابِرٌ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ نَحَرَ ثَلاَثَ جَزَائِرَ، ثُمَّ نَحَرَ ثَلاَثَ جَزَائِرَ ثُمَّ نَحَرَ ثَلاَثَ جَزَائِرَ، ثُمَّ إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ نَهَاهُ»[٢].

ومن صبرهم رضي الله عنهم على شدة العيش فرحهم بالطعام الذي لا يرضاه كثير من طلاب العلم بعدهم:

عَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ تَجْعَلُ عَلَى أَرْبِعَاءَ[٣] فِي مَزْرَعَةٍ لَهَا سِلْقًا[٤]، فَكَانَتْ إِذَا كَانَ يَوْمُ جُمُعَةٍ تَنْزِعُ أُصُولَ السِّلْقِ فَتَجْعَلُهُ فِي قِدْرٍ، ثُمَّ تَجْعَلُ عَلَيْهِ قَبْضَةً مِنْ شَعِيرٍ تَطْحَنُهَا فَتَكُونُ أُصُولُ السِّلْقِ عَرْقَهُ[٥]، وَكُنَّا نَنْصَرِفُ مِنْ صَلاَةِ الْجُمُعَةِ فَنُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَتُقَرِّبُ ذَلِكَ الطَّعَامَ إِلَيْنَا فَنَلْعَقُهُ، وَكُنَّا نَتَمَنَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِطَعَامِهَا ذَلِكَ»[٦].

قال ابن حجر:

«فيه استحباب التقرب بالخير ولو بالشيء الحقير وبيان ما كان الصحابة

---

(١) رجعت إلى ما كانت عليه من القوة والسمن

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٦١)، ومسلم (١٩٣٥).

(٣) ساقية صغيرة.

(٤) هو نوع من البقل.

(٥) لحمه أي قامت مقامه قطع اللحم فيه وفي نسخة «غرقة» تغرق في المرق لشدة نضجه وفي نسخة «غرفه» مرقه الذي يغرف والمراد العرق اللحم الذي على العظم والمراد أن السلق يقوم مقامه عندهم.

(٦) أخرجه البخاري (٩٣٨)، ومسلم (٨٥٩).

عليه من القناعة وشدة العيش والمبادرة إلى الطاعة رضي الله عنهم»[١].

وكان ﷺ ينام على حصير يؤثر في جنبه وينام على فراش من جلد مدبوغ:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَدَمٍ[٢] وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ[٣]» أخرجه البخاري (٦٤٥٦).

وعن عمر رضي الله عنه، قال: دَخَلْتُ فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ مِرْفَقَةٌ[٤] مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِذَا أُهُبٌ[٥] مُعَلَّقَةٌ وَقَرَظٌ[٦]»[٧].

وفي «الصحيح» قال عمر رضي الله عنه: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ، وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، قَالَ: **«مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ»** قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ، فَقَالَ: **«يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟»**.

---

(١) «فتح الباري» (٢/ ٤٢٧).

(٢) جلد مدبوغ.

(٣) قشر النخيل.

(٤) مرفقة بكسر الميم وهي الوسادة.

(٥) جمع إهاب وهو الجلد ما لم يدبغ.

(٦) بفتح القاف والراء وبالمعجمة ورق شجر يدبغ به.

(٧) أخرجه البخاري (٥٨٤٣)، ومسلم (١٤٧٩).

وصف بيت رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ومدى تحمله ﷺ وأهل بيته :

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٤٥١)، وغيره بإسناد صحيح عن دَاوُدُ بْنُ قَيْسٍ قَالَ: رَأيتُ الحُجراتِ مِن جَرِيدِ النَّخلِ مُغشَّاة مِن خَارجٍ بمسُوح الشَّعرِ وَأظُنُّ عَرْضَ البَيتِ مِن بَاب الحُجرةِ إِلَى بَاب البيتِ نَحْوًا مِن سِتٍ أَو سبعِ أَذرعٍ، وأحْزِرُ البيتِ الدَّاخِلَ عَشرَ أَذرعٍ، وأَظنُّ سُمكَهُ بَين الثَّمانِ والسَّبْعِ نَحو ذَلكَ، ووقَفتُ عِند بَاب عَائشةَ فَإذا هُوَ مُستَقبلَ المَغربَ».

وقال الْحَسَن: كُنْتُ أَدْخُلُ بُيُوتَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ فَأَتَنَاوَلُ سُقُفَهَا بِيَدِي»[1].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فِي حُجْرَتِهِ، وَجِدَارُ الحُجْرَةِ قَصِيرٌ، فَرَأَى النَّاسُ شَخْصَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَامَ أُنَاسٌ يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ، فَأَصْبَحُوا فَتَحَدَّثُوا بِذَلِكَ، فَقَامَ اللَّيْلَةَ الثَّانِيَةَ، فَقَامَ مَعَهُ أُنَاسٌ يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ، صَنَعُوا ذَلِكَ لَيْلَتَيْنِ -أَوْ ثَلاَثًا - حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَخْرُجْ، فَلَمَّا أَصْبَحَ ذَكَرَ ذَلِكَ النَّاسُ فَقَالَ: **«إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُكْتَبَ عَلَيْكُمْ صَلاَةُ اللَّيْلِ»**[2].

وعن ميمون، قال: دخلت على ابن عمر رضي الله عنهما، فقومت كل شيء في بيته من فراش أو لحاف أو بساط، فما وجدته يسوي مائة درهم، قال: ودخلت عليه مرة أخرى، فما وجدته يسوى ثمن طيلساني[3] هذا.

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٥٠)، وغيره بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٩).

(٣) ثوب يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن ينسج للبس، خال من التفصيل والخياطة.

قال أبو المليح: فبيع طيلسان ميمون في ميراثه بمائة درهم أخرجه أبو داود في «الزهد» (٣١٠) بإسناد صحيح.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا[١] لَنَا وَهَى، فَقَالَ: **«مَا هَذَا؟»** فَقُلْنَا: خُصٌّ لَنَا وَهَى فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ[٢]»**[٣].

وكان بيوت النبي ﷺ ليس فيها مصابيح:

عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرِجْلاَيَ، فِي قِبْلَتِهِ فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي[٤]، فَقَبَضْتُ رِجْلَيَّ، فَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهُمَا»، قَالَتْ: وَالبُيُوتُ يَوْمَئِذٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَابِيحُ[٥][٦].

وكان سقف بيوتهم يمسك بجذوع النخل:

عَنْ ثَابِتٍ، أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ مُحْرِزٍ[٧] كَانَ لَهُ خُصٌّ فِيهِ جِذْعٌ، فَانْكَسَرَ الْجِذْعُ، فَقِيلَ لَهُ: أَلاَ تُصْلِحُهُ؟، فَقَالَ: دَعْهُ فَإِنَّمَا أَمُوتُ غَدًا»[٨].

---

(١) بضم الخاء المعجمة وتشديد الصاد المهملة: بيت يكون من قصب.

(٢) أي: أمْر الارتحال عن الدنيا والموت.

(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٣٦)، وغيره بسند صحيح.

(٤) أي بيده والغمز المس أو العصر بؤوس الأصابع والإشارة بالعين أو الحاجب.

(٥) جمع مصباح وهو ما يستضاء به وأرادت بقولها الاعتذار عن نومها على تلك الصفة حال سجوده أي لو كان فيها مصابيح لقبضت رجلها عند سجوده.

(٦) أخرجه البخاري (٣٨٢)، ومسلم (٥١٢).

(٧) هو صفوان بن محرز بن زياد المازني، أو الباهلي، البصري وهو ثقة عابد بكاء خاشع.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٨٥) بإسناد صحيح.

لبسهم للثياب المرقع وعدم تأففهم من ذلك:

وعن زيد بن وهب، قال: رأيت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج إلى السوق وبيده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها آدم»[١].

وأخرج ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٢٧)، وغيره بإسناد صحيح عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، قال: قال أنس بن مالك: رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبد بعضها فوق بعض».

وفي رواية:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت بين كتفي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أربع رقاع[٢].

وعن عبيد بن عمير، قال: رأيت عمر يرمي الجمار عليه إزار مرقع على مقعدته»[٣].

عن خيثمة، أنه كان يصر الدراهم، فإذا رأى إنسانـًا من أصحابه قد تخرق

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٣٠)، وفي «إصلاح المال» (٣٦٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٠٤) بإسناد صحيح.

وله طريق آخر: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٣٠)، وأبو داود في «الزهد» (٥٥) بإسناد تالف فيه العوام بن جويرية، يروي عن الحسن، قال ابن حبان: كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات على صلاح فيه، كان يهم ويأتي بالشيء على التوهم لا التعمد فلا يحتج به.

(٢) أخرجها ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٣٢) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٢٨) بإسناد صحيح.

إزاره دسها فقال: اشتر بها كذا»[١].

وكانت بسطهم تصنع من جريد النخل:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، فَرُبَّمَا تَحْضُرُ الصَّلَاةُ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ، ثُمَّ يُنْضَحُ، ثُمَّ يَؤُمُّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا، وَكَانَ بِسَاطُهُمْ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ»[٢].

لبسهم للصوف في الحر والبرد وتحملهم للروائح الكريهة بسبب لبسه:

قال أبو موسى رضي الله عنه لابنه: يا بني، لو رأيتنا ونحن مع رسول الله ﷺ وأصابتنا السماء، لحسبت أن ريحنا ريح الضأن[٣]»[٤].

وعَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها، كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عُمَّالَ أَنْفُسِهِمْ[٥]، وَكَانَ يَكُونُ لَهُمْ أَرْوَاحٌ[٦]، فَقِيلَ لَهُمْ: لَوْ اغْتَسَلْتُمْ[٧]»[٨].

---

(١) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٢١٢) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٦٥٩).

(٣) **قال الترمذي:** «ومعنى هذا الحديث أنه كان ثيابهم الصوف، فإذا أصابهم المطر يجيء من ثيابهم ريح الضأن» قاله عقب الحديث رقم (٢٤٧٩).

(٤) **صحيح:** أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٢٤٤)، والترمذي (٢٤٧٩)، وغيرهما.

(٥) يعملون بأيديهم ويكسبون لأنفسهم وهذا من التواضع وانظر كتابي «القول النافع في بيان خلق التواضع».

(٦) جمع ريح بسبب تعرقهم.

(٧) لحضور الجمعة.

(٨) أخرجه البخاري (٢٠٧١).

عن ضَمْرَة، قَالَ: كُنَّا مَعَ إِبْرَاهِيمَ، بِصُورَ فِي بَيْتِهِ ، قَالَ: وَكَانَ يَحْصُدُ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ أَبُو إِلْيَاسَ جَالِسًا عَلَى الْبَابِ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا سُلَيْمَانُ، ادْخُلْ لَا يَمُرُّ بِكَ إِنْسَانٌ فَيَظُنُّ أَنَّكَ سَائِلٌ فَيُعْطِيَكَ شَيْئًا»[١].

وكانوا يلبسون الكتان:

عَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ[٢] مِنْ كَتَّانٍ[٣]» خرجته في موطن آخر.

طلاب العلم من أهل الصفة يربطون ثيابهم في أعناقهم لقصرهما حتى لا ترى عوراتهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا: مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا: مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ»[٤].

وأخرج الطبراني في «مسند الشاميين» (١٢٠٣) بإسناد صحيح عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ: «كُنَّا أَصْحَابَ الصُّفَّةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا فِينَا رَجُلٌ لَهُ ثَوْبٌ تَامٌّ ، وَلَقَدِ اتَّخَذَ الْعَرَقُ فِي جُلُودِنَا طُرُقًا مِنَ الْغُبَارِ وَالْوَسَخِ».

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، قَالَ: صَلَّى جَابِرٌ فِي إِزَارٍ قَدْ عَقَدَهُ مِنْ قِبَلِ قَفَاهُ وَثِيَابُهُ مَوْضُوعَةٌ عَلَى المِشْجَبِ، قَالَ لَهُ قَائِلٌ: تُصَلِّي فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ؟، فَقَالَ:

---

(١) **حسن:** أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٦٩) بإسناد حسن من أجل ضمرة بن ربيعة.

(٢) مصبوغان بالمشق وهو الطين الأحمر.

(٣) نبات تتخذ من أليافه المنسوجة الثياب.

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٢).

إِنَّمَا صَنَعْتُ ذَلِكَ لِيَرَانِي أَحْمَقُ[١] مِثْلُكَ وَأَيُّنَا كَانَ لَهُ ثَوْبَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ»[٢].

وعَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ[٣]، قَالَ: أنه كَانَ يَرْتَدِي بِالرِّدَاءِ يَبْلُغُ أَلْيَتَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ وَثَدْيَيْهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ، لَوْ أَنَّك اتَّخَذْت رِدَاءً أَوْسَعَ مِنْ رِدَاءَك هَذَا، قَالَ: يَا بُنَي، لاَ تَقُلْ هَذَا، فَوَاللهِ مَا عَلَى الأَرْضِ لُقْمَةٌ لَقَمْتها طَيِّبَةً إِلاَّ لَوَدِدْت لَوْ كَانَتْ فِي أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ[٤].

عن خيثمة، أنه كان يصر الدراهم، فإذا رأى إنسانـًا من أصحابه قد تخرق إزاره دسها فقال: اشتر بها كذا»[٥].

مصعب بن عمير رضي الله عنه لم يجدوا له كفنا يواري رأسه وقدميه:

عن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ رضي الله عنه، أنه أُتِيَ بِطَعَام، وَكَانَ صَائِمًا، فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ: إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاَهُ بَدَا رَأْسُهُ، وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ»[٦].

---

(١) جاهل.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٢)، ومسلم (٥١٨).

(٣) هو يزيد بن شريك بن طارق التيمي، تيم الرباب، من الطبقة الثانية من كبار التابعين.

(٤) أخرجه هناد في «الزهد» (٢/ ٣٧٢)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٤٣٢) بإسناد صحيح.

(٥) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٢١٢) بإسناد صحيح.

(٦) أخرجه البخاري (١٢٧٦).

وكانوا يأكلون الخبز الخشن واللحم الغليظ:

عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ السُّلَمِيُّ، قَالَ: قَدِمْت عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِسِلاَلٍ خَبِيصٍ عِظَامٍ مَمْلُوءَةٍ، لَمْ أَرَ أَحْسَنَ مِنْهُ وَأَجِيَد، فَقَالَ: مَا هَذِهِ فَقُلْت: طَعَامٌ أَتَيْتُك بِهِ، إنَّك تَقْضِي مِنْ حَاجَاتِ النَّاسِ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَإِذَا رَجَعْت أَصَبْت مِنْهُ قَالَ: اكْشِفْ عَنْ سَلَّةٍ مِنْهَا، قَالَ: فَكَشَفْت، قَالَ: عَزَمْت عَلَيْك إذَا رَجَعْت إلاَّ رَزَقْت كُلَّ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا سَلَّةً، قَالَ: قُلْتُ: وَالَّذِي يَصْلُحُك يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَوْ أَنْفَقْت مَالَ قَيْسٍ كُلَّهُ مَا بَلَغَ ذَلِكَ، قَالَ: فَلاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ، ثُمَّ دَعَا بِقَصْعَةٍ فِيهَا ثَرِيدٌ مِنْ خُبْزٍ خَشِنٍ وَلَحْمٍ غَلِيظٍ وَهُوَ يَأْكُلُ مَعِي أَكْلاً شَهِيًّا، فَجَعَلْتُ أَهْوِي إلَى الْبِضْعَةِ الْبَيْضَاءِ أَحْسِبُهَا سَنَامًا فَأَلُوكُهَا فَإِذَا هِيَ عَصَبَةٌ، وَآخُذُ الْبِضْعَةَ مِنَ اللَّحْمِ فَأَمْضُغُهَا فَلاَ أَكَادُ أُسِيغُهَا، فَإِذَا غَفَلَ عَنِّي جَعَلْتهَا بَيْنَ الْخِوَانِ وَالْقَصْعَةِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عُتْبَةُ، إنَّا نَنْحَرُ كُلَّ يَوْمٍ جَزُورًا، فَأَمَّا وَدَكُهَا وَأَطْيَابُهَا فَلِمَنْ حَضَرَ مِنْ آفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَّا عُنُقُهَا فَإِلَى عُمَرَ»[1].

عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشتهي أكل الجراد المقلي:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ يَتَحَلَّبُ فُوهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: أَشْتَهِي جَرَادًا مَقْلِيًّا»[2].

---

(١) **صحيح:** أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٣٢٦)، وابن أبي الدنيا في «الجوع» (٧٨)، والدارقطني في «السنن» (٥/ ٤٧١).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣١٧)، وابن أبي شيبة (٨/ ١٣٩)، وغيرهما بإسناد صحيح على شرط الصحيحين.

احتراق بطون طلاب العلم من أهل الصفة من كثرة أكل التمر واختراق ثيابهم من الكتان بسبب طول لبسها:

عَنْ أَبِي حَرْبٍ، أَنَّ طَلْحَةَ حَدَّثَهُ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ لِي بِهَا مَعْرِفَةٌ، فَنَزَلْتُ فِي الصُّفَّةِ مَعَ رَجُلٍ فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كُلَّ يَوْمٍ مُدٌّ مِنْ تَمْرٍ، فَصَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَحْرَقَ بُطُونَنَا التَّمْرُ، وَتَخَرَّقَتْ عَنَّا الْخُنُفُ[1]، فَصَعِدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَخَطَبَ ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ: **لَوْ وَجَدْتُ خُبْزًا، أَوْ لَحْمًا لَأَطْعَمْتُكُمُوهُ، أَمَا إِنَّكُمْ تُوشِكُونَ أَنْ تُدْرِكُوا، وَمَنْ أَدْرَكَ ذَاكَ مِنْكُمْ أَنْ يُرَاحَ عَلَيْكُمْ بِالْجِفَانِ[2]، وَتَلْبَسُونَ مِثْلَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ** قَالَ: فَمَكَثْتُ أَنَا وَصَاحِبِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا الْبَرِيرَ[3]، حَتَّى جِئْنَا إِلَى إِخْوَانِنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فَوَاسَوْنَا وَكَانَ خَيْرَ مَا أَصَبْنَا هَذَا التَّمْرُ»[4].

---

(١) وهو نوعٌ غليظ من أردأ الكتان، أراد ثياباً تُعمل منه كانوا يلبسونها.

(٢) جمع جَفْنَة بفتح فسكون: وهي القصعة الكبيرة.

(٣) هو ثمر الأراك إذا اسودَّ وبلغ، وقيل: هو اسم له في كل حال.

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٨)، وابنُ أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤٣٥)، والبزار (٣٦٧٣)، وابن حبان (٦٦٨٤)، وغيرهم بإسناد صحيح.

صبر أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يتعلم السنة على شدائد الحياة

كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشد الحجر على بطنه ويعتمد بكبده على الأرض من الجوع:

وعن مُجاهِد، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَقُولُ أَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ(١) مِنْ الْجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الْحَجَرَ(٢) عَلَى بَطْنِي مِنْ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمْ(٣) الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: **يَا أَبَا هِرٍّ**، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **الْحَقْ**، وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِي فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: **مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟**، قَالُوا أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةُ، قَالَ: **أَبَا هِرٍّ**، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي**، قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ(٤)، لَا يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ(٥)، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ؟، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ

---

(١) ألصق بطني بالأرض.

(٢) أربط وفائدة شد الحجر المساعدة على الاعتدال والقيام.

(٣) أي النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

(٤) ضيوف المسلمين.

(٥) أهمني وأحزنني.

هَذَا اللَّبَنِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنْ الْبَيْتِ، قَالَ: **يَا أَبَا هِرٍّ**، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **خُذْ فَأَعْطِهِمْ**، قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: **أَبَا هِرٍّ**، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ**، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **اقْعُدْ فَاشْرَبْ**، فَقَعَدْتُ: فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: **اشْرَبْ فَشَرِبْتُ**، فَمَا زَالَ يَقُولُ: **اشْرَبْ**، حَتَّى قُلْتُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: **فَأَرِنِي**، فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ ،وَسَمَّى وَشَرِبَ الْفَضْلَةَ»[1].

وعَنْه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ النَّاسَ، كَانُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَإِنِّي كُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِي[2] حَتَّى لاَ آكُلُ الخَمِيرَ[3] وَلاَ أَلْبَسُ الحَبِيرَ[4]، وَلاَ يَخْدُمُنِي فُلاَنٌ وَلاَ فُلاَنَةُ[5]، وَكُنْتُ أُلْصِقُ بَطْنِي بِالحَصْبَاءِ[6] مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ

(١) أخرجه البخاري (٦٤٥٢).

(٢) أي رضيت بشبع بطني ولم أطلب زيادة على ذلك فتهيأ لي من سماع حديثه ما لم يتهيأ لغيري.

(٣) الخبز الذي خمر وجعل في عجينه الخميرة ويروى «الخبيز» وهو الخبز المأدوم.

(٤) الجديد والحسن أو ما كان موشى ومخططا من الثياب.

(٥) ليس لي خادم من ذكر أو أنثى وإنما أخدم نفسي.

(٦) بالأرض لتنكسر شدة الجوع.

كُنْتُ لَأَسْتَقْرِئُ الرَّجُلَ الآيَةَ[١]، هِيَ مَعِي، كَيْ يَنْقَلِبَ بِي فَيُطْعِمَنِي، وَكَانَ أَخْيَرَ النَّاسِ لِلْمِسْكِينِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، كَانَ يَنْقَلِبُ بِنَا فَيُطْعِمُنَا مَا كَانَ فِي بَيْتِهِ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخْرِجُ إِلَيْنَا العُكَّةَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ، فَنَشُقُّهَا فَنَلْعَقُ مَا فِيهَا»[٢].

وعَنْه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: إِنَّكُمْ تَقُولُونَ إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَقُولُونَ مَا بَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ لَا يُحَدِّثُونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنْ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمْ صَفْقٌ بِالْأَسْوَاقِ وَكُنْتُ أَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا وَكَانَ يَشْغَلُ إِخْوَتِي مِنْ الْأَنْصَارِ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ أَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ يُحَدِّثُهُ أَنَّهُ لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجْمَعَ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ إِلَّا وَعَى مَا أَقُولُ فَبَسَطْتُ نَمِرَةً عَلَيَّ حَتَّى إِذَا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَالَتَهُ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي فَمَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ تِلْكَ مِنْ شَيْءٍ»[٣].

وفي رواية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَلَوْلاَ آيَتَانِ[٤] فِي كِتَابِ اللهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا، ثُمَّ يَتْلُو ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] إِلَى قَوْلِهِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ

(١) أقول له أريد أن أقرأ آية كذا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٨).

(٣) أخرجه البخاري (١١٨)، ومسلم (١٥٩).

(٤) أي تحذرانمن كتمان العلم.

الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ العَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ، وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ»(١).

قال ابن حجر:

«وفيه أن التقلل من الدنيا أمكن لحفظه(٢)»(٣).

عَنْ مُضَارِبِ بْنِ حَزْنٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ، مِنَ اللَّيْلِ إِذَا رَجُلٌ يُكَبِّرُ فَأَلْحَقْتُهُ بَعِيرِي فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الْمُكَبِّرُ؟ فَقَالَ: أَبُو هِرٍّ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا التَّكْبِيرُ؟ قَالَ: شُكْرٌ، قُلْتُ: عَلَى مَهْ؟ قَالَ: عَلَى أَنْ كُنْتُ أَجِيرًا لِبَرَّةَ بِنْتِ غَزْوَانَ بِعُقْبَةِ رِجْلِي وَطَعَامِ بَطْنِي، وَكَانَ الْقَوْمُ إِذَا رَكِبُوا سُقْتُ بِهِمْ، وَإِذَا نَزَلُوا خَدَمْتُهُمْ، فَزَوَّجَنِيهَا اللهُ فَهِيَ امْرَأَتِي، وَأَنَا إِذَا رَكِبَ الْقَوْمُ رَكِبْتُ، وَإِذَا نَزَلُوا خَدَمْتُ»(٤).

وكانوا رضي الله عنهم يصرعون من الجوع لانقطاعهم لطلب العلم:

وأخرج أحمد (٦/ ١٨)، وغيره بإسناد حسن عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ خَرَّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ لِمَا بِهِمْ مِنَ الْخَصَاصَةِ(٥) وَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ حَتَّى

---

(١) أخرجها البخاري (١١٨).

(٢) يعني العلم.

(٣) «فتح الباري» (١/ ٢١٦).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٧٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٧/ ٣٦٥) بإسناد حسن لحال مضارب بن حزن وصحح إسناده ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة».

(٥) الحاجَة والجُوع.

يَقُولَ الْأَعْرَابُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ مَجَانِينُ، فَإِذَا قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلَاةَ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: **لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ لَأَحْبَبْتُمْ لَوْ أَنَّكُمْ تَزْدَادُونَ حَاجَةً وَفَاقَةً**، قَالَ فَضَالَةُ: وَأَنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ».

وعَنْ مُحَمَّدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُمَشَّقَانِ[١] مِنْ كَتَّانٍ[٢]، فَتَمَخَّطَ، فَقَالَ: «بَخْ بَخْ[٣]، أَبُو هُرَيْرَةَ يَتَمَخَّطُ فِي الكَتَّانِ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الجَائِي فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي[٤]، وَيُرَى أَنِّي مَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ مَا بِي إِلَّا الجُوعُ» أخرجه البخاري (٧٣٢٤).

صبر الصحابة رضي الله عنهم في أول الإسلام على قلة العيش وأكلهم لورق الشجر:

عَنْ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ[٥]، أَوْ الْحَبَلَةِ، حَتَّى يَضَعَ أَحَدُنَا مَا تَضَعُ الشَّاةُ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي عَلَى الْإِسْلَامِ خَسِرْتُ إِذًا وَضَلَّ سَعْيِي» أخرجه البخاري (٥٤١٢).

---

(١) مصبوغان بالمشق وهو الطين الأحمر.

(٢) نبات تتخذ من أليافه المنسوجة الثياب.

(٣) كلمة تقال عند الرضا والإعجاب.

(٤) خشية أن أصيب أحدا بأذى على ظنه.

(٥) ثمر السمر يشبه اللوبيا وقيل ثمر العضاه وهو شجر له شوك والحبلة قضيب شجر العنب.

فإن قيل ما وجه قول سعد ما لنا طعام إلا ورق الحبلة والنبي ﷺ يرفع مما أفاء الله عليه من النضير وفدك قوته وقوته عياله لسنة وأنه كان يعطي الأعطية التي لا يذكر مثلها عمن تقدم من الملوك مع كونه بين أرباب الأموال العظام كأبي بكر وعثمان وشبههما وكذلك =

وفي رواية:

عَنْ قَيْسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ سَعْدًا يَقُولُ: إِنِّي لَأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَكُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا يَضَعُ الْبَعِيرُ أَوْ الشَّاةُ مَا لَهُ خِلْطٌ ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ تُعَزِّرُنِي[1] عَلَى الْإِسْلَامِ لَقَدْ خِبْتُ إِذًا[2] وَضَلَّ عَمَلِي وَكَانُوا وَشَوْا بِهِ إِلَى عُمَرَ قَالُوا لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي»[3].

=قول عائشة ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال حتى قبض وشبهه مما جاء مثل ذلك؟.

الجواب: قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ: كان ذلك حينا بعد حين لأن من كان منهم ذا مال كان مستغرقا في نوائب الحقوق ومواساة الضيفان حتى يقل كثيره أو يذهب جميعه فغير مستنكر لهم ضيق الحال التي يحتاجون معها إلى الاستسلاف وأكلهم الحبلة كما قال سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأما قول عائشة فوجهه أن البر كان قليلا عندهم فغير نكير أن يؤثر أهل بلده من الشعير والتمر ويكره أن يخص نفسه بما لا سبيل للمسلمين إليه من الغذاء وهذا هو الأشبه بأخلاقه وأما ما روي من أنه لم يشبع من خبز الشعير فإن ذلك لم يكن لعوز ولا لضيق في غالب أحواله لأن الله تعالى أفاء عليه قبل وفاته بلاد العرب كلها ونقل إليه الخراج من أكثر بلاد العجم ولكن بعضه لا يثار نوائب الحق وبعضه كراهية منه للشبع وكثرة الأكل.

فإن قيل: كيف جاز لسعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يمدح نفسه ومن شأن المؤمن التواضع؟.

الجواب: إذا اضطر المرء إلى التعريف بنفسه حسن قال الله عَزَّ وَجَلَّ حاكيا عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف ٥٥).

(١) يؤدبونني ويعلمونني أحكامه.

(٢) إن كنت كما قالوا محتاجا إلى تعليمهم وتأديبهم.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٢٨)، ومسلم (٢٦٩٩).

قال بدر الدين العيني:

«إن فيه إشعارا لبيان ما كان وأصحابه في قلة من العيش مع القناعة والرضا بما قسم الله ﷻ»[١].

وعن خالد بن عمير العدوي، قال: خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد: فإن الدنيا قد آذنت[٢] بصرم[٣]، وولت حذاء[٤]، ولم يبق منها إلا صبابة[٥] كصبابة الإناء، يتصابها[٦] صاحبها، وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذكر لنا: **أن الحجر يلقى من شفة جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا، ووالله لتملأن، أفعجبتم؟، ولقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ[٧] من الزحام**، ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا[٨]، فالتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك[٩] فاتزرت بنصفها، واتزر سعد بنصفها،

---

(١) «عمدة القاري» (٣٠/ ٣٦٩).

(٢) أعلمت.

(٣) والصرم بالضم أي الانقطاع والذهاب.

(٤) بحاء مهملة مفتوحة ثم ذال معجمة مشددة وألف ممدودة أي مسرعة الانقطاع.

(٥) والصبابة بضم الصاد البقية اليسيرة من الشراب تبقى في أسفل الإناء.

(٦) يشربها.

(٧) الممتلئ.

(٨) أى صار فيها قروح وجراح من خشونة الورق الذي نأكله وحرارته.

(٩) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميرا على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيما، وعند الله صغيرا، وإنها لم تكن نبوة قط إلا تناسخت حتى يكون آخر عاقبتها ملكا فستخبرون وتجربون الأمراء بعدنا»[١].

تحملهم شدة الجوع وجهد العمل:

عن جابر ﵁، قَالَ: إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ[٢] عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فقَالَ: **«أَنَا نَازِلٌ»**. ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ[٣] بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّام لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا[٤] أَهْيَلَ[٥]، أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي[٦]: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا[٧] مَا كَانَ فِي ذَلِكَ صَبْرٌ[٨]، فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ[٩]، فَذَبَحَتِ العَنَاقَ، وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ[١٠]، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالعَجِينُ قَدْ انْكَسَرَ،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٧).

(٢) قطعة صلبة من الأرض لا يؤثر فيها المعول.

(٣) مربوط من شدة الجوع.

(٤) تفتتت حتى صارت كالرمل.

(٥) ينهال فيتساقط من جوانبه ويسيل من لينه.

(٦) هي سهلة بنت مسعود بن أوس الظفرية الأنصارية ﵂.

(٧) أي من الجوع.

(٨) أي فهو مما لا يحتمل أو لم يبق لدي الصبر أن أرى ما في رسول الله ﷺ وأتركه هكذا.

(٩) الأنثى من ولد المعز.

(١٠) القدر.

وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ[1] قَدْ كَادَتْ أَنْ تَنْضَجَ، فَقُلْتُ: طُعَيِّمٌ[2] لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلاَنِ، قَالَ: **«كَمْ هُوَ»** فَذَكَرْتُ لَهُ، قَالَ: كَثِيرٌ طَيِّبٌ، قَالَ: قُلْ لَهَا: لاَ تَنْزِعِ البُرْمَةَ، وَلاَ الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِيَ، فَقَالَ: **قُومُوا،** فَقَامَ المُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ قَالَ: وَيْحَكِ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ مَعَهُمْ، قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: **«ادْخُلُوا وَلاَ تَضَاغَطُوا[3]»** فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ[4] البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا وَبَقِيَ بَقِيَّةٌ، قَالَ: **«كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ»**[5].

لم يكن لهم مناديل فكانوا يتخذون أكفهم وسواعدهم وأقدامهم:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَأَلَهُ عَنْ الْوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتْ النَّارُ؟، فَقَالَ: لَا، قَدْ كُنَّا زَمَانَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ الطَّعَامِ إِلَّا قَلِيلًا، فَإِذَا نَحْنُ وَجَدْنَاهُ لَمْ يَكُنْ لَنَا مَنَادِيلُ إِلَّا أَكُفَّنَا وَسَوَاعِدَنَا وَأَقْدَامَنَا ثُمَّ نُصَلِّي وَلَا نَتَوَضَّأُ»[6].

---

(١) جمع الأثفية وهي الحجارة التي تنصب وتوضع عليها القدر.

(٢) مصغر طعام وصغره لقلته.

(٣) تزدحموا.

(٤) يغطي.

(٥) أخرجه البخاري (٤١٠١).

(٦) أخرجه البخاري (٥٤٥٧).

كان علماء الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يجوعون مرة ويشبعون مرة:

عن ابن سيرين، أن رجلا قال: لابن عمر رضي الله عنهما أجعل لك جوارش؟، قال: وأي شيء الجوارش؟، قال: شيء إذا كظك الطعام فأصبت منه سهل عيشك، قال: فقال ابن عمر: ما شبعت من طعام منذ أربعة أشهر وما ذاك أن لا أكون له واجدا ولكني عهدت قوما يشبعون مرة ويجوعون مرة»[1].

وعَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أُوتِيَ بِشَيْءٍ يُقَالُ لَهُ الْكَبْلُ، فَقَالَ: مَا نَصْنَعُ بِهَذَا؟ قَالَ: إِنَّهُ يُمْرِيكَ قَالَ: إِنَّهُ يَمُرُّ بِيَ الشَّهْرُ مَا أَشْبَعُ إِلَّا الشَّبْعَةَ وَالشَّبْعَتَيْنِ»[2].

عن الحسن، قال: والله لقد أدركت أقواما ما طوى لأحد منهم ثوب قط ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط وإن كان أحدهم ليقول لوددت أني أكلت أكلة فتصير في جوفي مثل الآجرة وكان يقول بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلاثمائة سنة»[3].

عن الحسن، قال: والله لقد أدركت أقواما ما كانوا يشبعون ذلك الشبع يأكل أحدهم حتى إذا رد نفسه أمسك ذائبا ناحلا مقبلا عليه فمه»[4].

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٨٩)، وغيره بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٨٩)، وغيره بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٢٦٠) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٧٧١) بإسناد صحيح.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: «مَا شَبِعْتُ مُنْذُ سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً، إلا شُبْعَةً اطَّرَحْتُهَا، يَعْنِي فَطَرَحْتُهَا؛ لأَنَّ الشِّبَعَ يُثْقِلُ الْبَدَنَ، وَيُقَسِّي الْقَلْبَ، وَيُزِيلُ الْفِطْنَةَ، وَيَجْلِبُ النَّوْمَ، وَيُضْعِفُ صَاحِبَهُ عَنِ الْعِبَادَةِ»[١].

وكانوا ربما يبيتون وأولادهم من غير عشاء:

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قال: والله لقد كان يأتي على آل محمد ﷺ الليالي ما يجدون فيها عشاء[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ[٣]، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، فَقَالَ: **«مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟»**، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ، فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ، قَالَ: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: **«قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ»**[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص٧٨)، وغيره بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٠٢)، والطبري في «تهذيب الآثار» (١/ ٢٣٨) بسند صحيح.

(٣) أي أصابني الجهد وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع.

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٥٤).

وعن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يجمع أهل بيته على جفنته كل ليلة، قال: فربما سمع بنداء مسكين فيقوم إليه بنصيبه من اللحم والخبز، فإلى أن يدفعه إليه ويرجع قد فرغوا مما في الجفنة، فإن كنت أدركت فيها شيئا فقد أدرك فيها ثم يصبح صائما»[١].

وكان يمر عليهم الشهر لا يخبزون لضيق الحال:

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: والله لقد كان يأتي على آل محمد ﷺ شهر لا نخبز فيه، قال: قلت: يا أم المؤمنين فما كان يأكل رسول الله ﷺ؟، فقالت: كان لنا جيران من الأنصار جزاهم الله خيرا كان لهم شيء من لبن يهدون منه إلى رسول الله ﷺ»[٢].

تحمل سلمان الفارسي رضي الله عنه للمتاعب والشدائد في رحلته لطلب العلم للوصول إلى الحق:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: حَدَّثَنِي سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رضي الله عنه حَدِيثَهُ مِنْ فِيهِ، قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا فَارِسِيًّا مِنْ أَهْلِ أَصْبَهَانَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ مِنْهَا يُقَالُ لَهَا جَيٌّ، وَكَانَ أَبِي دِهْقَانَ قَرْيَتِهِ، وَكُنْتُ أَحَبَّ خَلْقِ اللهِ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حُبُّهُ إِيَّايَ حَتَّى حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ كَمَا تُحْبَسُ الْجَارِيَةُ، واَجْتَهَدْتُ فِي الْمَجُوسِيَّةِ حَتَّى كُنْتُ قَطَنَ النَّارِ الَّذِي يُوقِدُهَا لَا يَتْرُكُهَا تَخْبُو سَاعَةً، قَالَ: وَكَانَتْ لِأَبِي ضَيْعَةٌ عَظِيمَةٌ، قَالَ: فَشُغِلَ فِي بُنْيَانٍ لَهُ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ شُغِلْتُ فِي بُنْيَانٍ هَذَا

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ١٦٥) بإسناد صحيح، وانظر كتابي «حقوق الأولاد على الوالدين»، و«نصيحة الوالدين بتعليم الأبناء العلم الشرعي والتمسك بالدين».

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٠٣) بإسناد صحيح.

الْيَوْمَ عَنْ ضَيْعَتِي، فَاذْهَبْ فَاطَّلِعْهَا، وَأَمَرَنِي فِيهَا بِبَعْضِ مَا يُرِيدُ، فَخَرَجْتُ أُرِيدُ ضَيْعَتَهُ، فَمَرَرْتُ بِكَنِيسَةٍ مِنْ كَنَائِسِ النَّصَارَى، فَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ فِيهَا وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَكُنْتُ لَا أَدْرِي مَا أَمْرُ النَّاسِ لِحَبْسِ أَبِي إِيَّايَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِهِمْ، وَسَمِعْتُ أَصْوَاتَهُمْ، دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُونَ، قَالَ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ أَعْجَبَنِي صَلَاتُهُمْ، وَرَغِبْتُ فِي أَمْرِهِمْ، وَقُلْتُ: هَذَا وَاللهِ خَيْرٌ مِنَ الدِّينِ الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ، فَوَاللهِ مَا تَرَكْتُهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَتَرَكْتُ ضَيْعَةَ أَبِي وَلَمْ آتِهَا، فَقُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ أَصْلُ هَذَا الدِّينِ؟، قَالُوا: بِالشَّام قَالَ: ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى أَبِي، وَقَدْ بَعَثَ فِي طَلَبِي وَشَغَلْتُهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ، قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُهُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، أَيْنَ كُنْتَ؟ أَلَمْ أَكُنْ عَهِدْتُ إِلَيْكَ مَا عَهِدْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتِ، مَرَرْتُ بِنَاسٍ يُصَلُّونَ فِي كَنِيسَةٍ لَهُمْ فَأَعْجَبَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ دِينِهِمْ، فَوَاللهِ مَازِلْتُ عِنْدَهُمْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، لَيْسَ فِي ذَلِكَ الدِّينِ خَيْرٌ، دِينُكَ وَدِينُ آبَائِكَ خَيْرٌ مِنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: كَلَّا وَاللهِ إِنَّهُ لَخَيْرٌ مِنْ دِينِنَا، قَالَ: فَخَافَنِي، فَجَعَلَ فِي رِجْلَيَّ قَيْدًا، ثُمَّ حَبَسَنِي فِي بَيْتِهِ، قَالَ: وَبَعَثْتُ إِلَى النَّصَارَى فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّام تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى فَأَخْبِرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ رَكْبٌ مِنَ الشَّامِ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، قَالَ: فَأَخْبَرُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُمْ: إِذَا قَضَوْا حَوَائِجَهُمْ وَأَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ فَآذِنُونِي بِهِمْ، قَالَ: فَلَمَّا أَرَادُوا الرَّجْعَةَ إِلَى بِلَادِهِمْ أَخْبَرُونِي بِهِمْ، فَأَلْقَيْتُ الْحَدِيدَ مِنْ رِجْلَيَّ، ثُمَّ خَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ، فَلَمَّا قَدِمْتُهَا، قُلْتُ: مَنْ أَفْضَلُ أَهْلِ هَذَا الدِّينِ؟ قَالُوا: الْأَسْقُفُّ فِي الْكَنِيسَةِ، قَالَ: فَجِئْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فِي هَذَا الدِّينِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ أَخْدُمُكَ فِي كَنِيسَتِكَ، وَأَتَعَلَّمُ مِنْكَ وَأُصَلِّي مَعَكَ، قَالَ: فَادْخُلْ فَدَخَلْتُ مَعَهُ، قَالَ: فَكَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُهُمْ فِيهَا، فَإِذَا جَمَعُوا إِلَيْهِ مِنْهَا أَشْيَاءَ، اكْتَنَزَهُ لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِهِ الْمَسَاكِينَ، حَتَّى

جَمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَوَرِقٍ، قَالَ: وَأَبْغَضْتُهُ بُغْضًا شَدِيدًا لِمَا رَأَيْتُهُ يَصْنَعُ، ثُمَّ مَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ النَّصَارَى لِيَدْفِنُوهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا كَانَ رَجُلَ سَوْءٍ يَأْمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَيُرَغِّبُكُمْ فِيهَا فَإِذَا جِئْتُمُوهُ بِهَا اكْتَنَزَهَا لِنَفْسِهِ، وَلَمْ يُعْطِ الْمَسَاكِينَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالُوا: وَمَا عِلْمُكَ بِذَلِكَ؟، قَالَ: قُلْتُ أَنَا أَدُلُّكُمْ عَلَى كَنْزِهِ، قَالُوا: فَدُلَّنَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَأَرَيْتُهُمْ مَوْضِعَهُ، قَالَ: فَاسْتَخْرَجُوا مِنْهُ سَبْعَ قِلَالٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا وَوَرِقًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا: وَاللهِ لَا نَدْفِنُهُ أَبَدًا فَصَلَبُوهُ، ثُمَّ رَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ، ثُمَّ جَاءُوا بِرَجُلٍ آخَرَ، فَجَعَلُوهُ بِمَكَانِهِ، قَالَ: يَقُولُ سَلْمَانُ: فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا لَا يُصَلِّي الْخَمْسَ، أَرَى أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ، أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا أَرْغَبُ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا أَدْأَبُ لَيْلًا وَنَهَارًا مِنْهُ، قَالَ: فَأَحْبَبْتُهُ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَهُ، فَأَقَمْتُ مَعَهُ زَمَانًا، ثُمَّ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ إِنِّي كُنْتُ مَعَكَ وَأَحْبَبْتُكَ حُبًّا لَمْ أُحِبَّهُ مَنْ قَبْلَكَ وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى مِنْ أَمْرِ اللهِ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟، قَالَ: أَيْ بُنَيَّ وَاللهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا الْيَوْمَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، لَقَدْ هَلَكَ النَّاسُ وَبَدَّلُوا وَتَرَكُوا أَكْثَرَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، إِلَّا رَجُلًا بِالْمَوْصِلِ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَهُوَ عَلَى مَا كُنْتُ عَلَيْهِ، فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ، لَحِقْتُ بِصَاحِبِ الْمَوْصِلِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَانِي عِنْدَ مَوْتِهِ أَنْ أَلْحَقَ بِكَ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّكَ عَلَى أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَقِمْ عِنْدِي فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ خَيْرَ رَجُلٍ عَلَى أَمْرِ صَاحِبِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا أَوْصَى بِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي بِاللُّحُوقِ بِكَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا تَرَى، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُ رَجُلًا عَلَى مِثْلِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ إِلَّا بِنَصِيبِينَ، وَهُوَ فُلَانٌ، فَالْحَقْ بِهِ، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ نَصِيبِينَ، فَجِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، وَمَا أَمَرَنِي بِهِ صَاحِبِي، قَالَ: فَأَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ عِنْدَهُ، فَوَجَدْتُهُ عَلَى أَمْرِ

صَاحِبَيْهِ، فَأَقَمْتُ مَعَ خَيْرِ رَجُلٍ، فَوَاللهِ مَا لَبِثَ أَنْ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَلَمَّا حَضَرَ، قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنَّ فُلَانًا كَانَ أَوْصَى بِي إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا نَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ عَلَى أَمْرِنَا آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ إِلَّا رَجُلًا بِعَمُّورِيَّةَ، فَإِنَّهُ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَأْتِهِ، قَالَ: فَإِنَّهُ عَلَى أَمْرِنَا، قَالَ: فَلَمَّا مَاتَ وَغَيَّبَ لَحِقْتُ بِصَاحِبِ عَمُّورِيَّةَ، وَأَخْبَرْتُهُ خَبَرِي، فَقَالَ: أَقِمْ عِنْدِي، فَأَقَمْتُ مَعَ رَجُلٍ عَلَى هَدْيِ أَصْحَابِهِ وَأَمْرِهِمْ، قَالَ: وَاكْتَسَبْتُ حَتَّى كَانَ لِي بَقَرَاتٌ وَغُنَيْمَةٌ، قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ بِهِ أَمْرُ اللهِ، فَلَمَّا حَضَرَ قُلْتُ لَهُ: يَا فُلَانُ، إِنِّي كُنْتُ مَعَ فُلَانٍ، فَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، وَأَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ أَوْصَى بِي فُلَانٌ إِلَيْكَ، فَإِلَى مَنْ تُوصِي بِي، وَمَا تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: أَيْ بُنَيَّ، وَاللهِ مَا أَعْلَمُهُ أَصْبَحَ عَلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ أَظَلَّكَ زَمَانُ نَبِيٍّ هُوَ مَبْعُوثٌ بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ يَخْرُجُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، مُهَاجِرًا إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّتَيْنِ بَيْنَهُمَا نَخْلٌ، بِهِ عَلَامَاتٌ لَا تَخْفَى: يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْحَقَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ فَافْعَلْ، قَالَ: ثُمَّ مَاتَ وَغَيَّبَ، فَمَكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ، ثُمَّ مَرَّ بِي نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ تُجَّارًا، فَقُلْتُ لَهُمْ: تَحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، وَأُعْطِيكُمْ بَقَرَاتِي هَذِهِ وَغُنَيْمَتِي هَذِهِ؟ قَالُوا: نَعَمْ فَأَعْطَيْتُهُمُوهَا وَحَمَلُونِي، حَتَّى إِذَا قَدِمُوا بِي وَادِي الْقُرَى ظَلَمُونِي فَبَاعُونِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ يَهُودَ عَبْدًا، فَكُنْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ النَّخْلَ، وَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ الْبَلَدَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي، وَلَمْ يَحِقْ لِي فِي نَفْسِي، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُ، قَدِمَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمٍّ لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ فَابْتَاعَنِي مِنْهُ، فَاحْتَمَلَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُهَا فَعَرَفْتُهَا بِصِفَةِ صَاحِبِي، فَأَقَمْتُ بِهَا وَبَعَثَ اللهُ رَسُولَهُ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ لَا أَسْمَعُ لَهُ بِذِكْرٍ مَعَ مَا أَنَا فِيهِ مِنْ شُغْلِ الرِّقِّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللهِ إِنِّي

لَفِي رَأْسِ عَذْقٍ لِسَيِّدِي أَعْمَلُ فِيهِ بَعْضَ الْعَمَلِ، وَسَيِّدِي جَالِسٌ، إِذْ أَقْبَلَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: فُلَانُ، قَاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ، وَاللهِ إِنَّهُمُ الْآنَ لَمُجْتَمِعُونَ بِقُبَاءَ عَلَى رَجُلٍ قَدِمَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَكَّةَ الْيَوْمَ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَبِيٌّ، قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُهَا أَخَذَتْنِي الْعُرَوَاءُ، حَتَّى ظَنَنْتُ سَأَسْقُطُ عَلَى سَيِّدِي، قَالَ: وَنَزَلْتُ عَنِ النَّخْلَةِ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ لِابْنِ عَمِّهِ ذَلِكَ: مَاذَا تَقُولُ؟ مَاذَا تَقُولُ؟ قَالَ: فَغَضِبَ سَيِّدِي فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ قَالَ: مَا لَكَ وَلِهَذَا أَقْبِلْ عَلَى عَمَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَسْتَثْبِتَهُ عَمَّا قَالَ: وَقَدْ كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ قَدْ جَمَعْتُهُ، فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَخَذْتُهُ ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِقُبَاءَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَمَعَكَ أَصْحَابٌ لَكَ غُرَبَاءُ ذَوُو حَاجَةٍ، وَهَذَا شَيْءٌ كَانَ عِنْدِي لِلصَّدَقَةِ، فَرَأَيْتُكُمْ أَحَقَّ بِهِ مِنْ غَيْرِكُمْ قَالَ: فَقَرَّبْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **كُلُوا** وَأَمْسَكَ يَدَهُ فَلَمْ يَأْكُلْ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ عَنْهُ فَجَمَعْتُ شَيْئًا، وَتَحَوَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، ثُمَّ جِئْتُهُ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَأْكُلُ الصَّدَقَةَ، وَهَذِهِ هَدِيَّةٌ أَكْرَمْتُكَ بِهَا، قَالَ: فَأَكَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهَا وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَكَلُوا مَعَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: هَاتَانِ اثْنَتَانِ، قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ بِبَقِيعِ الْغَرْقَدِ، قَالَ: وَقَدْ تَبِعَ جَنَازَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، عَلَيْهِ شَمْلَتَانِ لَهُ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَدَرْتُ أَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِهِ، هَلْ أَرَى الْخَاتَمَ الَّذِي وَصَفَ لِي صَاحِبِي؟ فَلَمَّا رَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْتَدْبَرْتُهُ، عَرَفَ أَنِّي أَسْتَثْبِتُ فِي شَيْءٍ وُصِفَ لِي، قَالَ: فَأَلْقَى رِدَاءَهُ عَنْ ظَهْرِهِ، فَنَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ فَعَرَفْتُهُ، فَانْكَبَبْتُ عَلَيْهِ أُقَبِّلُهُ وَأَبْكِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **تَحَوَّلْ**، فَتَحَوَّلْتُ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ حَدِيثِي كَمَا حَدَّثْتُكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ، ثُمَّ شَغَلَ سَلْمَانَ الرِّقُّ حَتَّى فَاتَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ

بَدْرٌ، وَأُحُدٌ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ**، فَكَاتَبْتُ صَاحِبِي عَلَى ثَلَاثِ مِائَةِ نَخْلَةٍ أُحْيِيهَا لَهُ بِالْفَقِيرِ، وَبِأَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: **أَعِينُوا أَخَاكُمْ**، فَأَعَانُونِي بِالنَّخْلِ: الرَّجُلُ بِثَلَاثِينَ وَدِيَّةً، وَالرَّجُلُ بِعِشْرِينَ، وَالرَّجُلُ بِخَمْسَ عَشْرَةَ، وَالرَّجُلُ بِعَشْرٍ، يَعْنِي: الرَّجُلُ بِقَدْرِ مَا عِنْدَهُ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ لِي ثَلَاثُ مِائَةِ وَدِيَّةٍ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: **اذْهَبْ يَا سَلْمَانُ فَفَقِّرْ لَهَا، فَإِذَا فَرَغْتَ فَأْتِنِي أَكُونُ أَنَا أَضَعُهَا بِيَدَيَّ**، قَالَ: فَفَقَّرْتُ لَهَا، وَأَعَانَنِي أَصْحَابِي، حَتَّى إِذَا فَرَغْتُ مِنْهَا جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعِي إِلَيْهَا فَجَعَلْنَا نُقَرِّبُ لَهُ الْوَدِيَّ وَيَضَعُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، مَا مَاتَتْ مِنْهَا وَدِيَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَأَدَّيْتُ النَّخْلَ، وَبَقِيَ عَلَيَّ الْمَالُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِثْلِ بَيْضَةِ الدَّجَاجَةِ مِنْ ذَهَبٍ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي، فَقَالَ: **مَا فَعَلَ الْفَارِسِيُّ الْمُكَاتَبُ؟**، قَالَ: فَدُعِيتُ لَهُ، فَقَالَ: **خُذْ هَذِهِ فَأَدِّ بِهَا مَا عَلَيْكَ يَا سَلْمَانُ**، فَقُلْتُ: وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ يَا رَسُولَ اللهِ مِمَّا عَلَيَّ؟ قَالَ: **خُذْهَا، فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنْكَ**، قَالَ: فَأَخَذْتُهَا فَوَزَنْتُ لَهُمْ مِنْهَا، وَالَّذِي نَفْسُ سَلْمَانَ بِيَدِهِ، أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً، فَأَوْفَيْتُهُمْ حَقَّهُمْ، وَعَتَقْتُ، فَشَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْخَنْدَقَ، ثُمَّ لَمْ يَفُتْنِي مَعَهُ مَشْهَدٌ»(١).

فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تشتكي ما تلقى من الرحى مما تطحن:

عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام اشْتَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أُتِيَ بِسَبْيٍ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ، فَأَتَانَا وَقَدْ دَخَلْنَا

---

(١) **حسن:** أخرجه أحمد (٥/ ٤٤١)، وغيره بإسناد حسن لحال محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد صرح بالتحديث.

مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقَالَ: **عَلَى مَكَانِكُمَا**، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: **أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ؟، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ»**[1].

وفي رواية:

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَقَالَ: **أُعْطِيكِ خَادِمًا وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تُطْوَى بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ، أَلَا أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْهُ؟، تُسَبِّحِينَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ اللهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ»**[2].

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، أَتَى عَلِيًّا، وَفَاطِمَةَ وَهُمَا فِي خَمِيلٍ لَهُمَا، وَالْخَمِيلُ: الْقَطِيفَةُ الْبَيْضَاءُ مِنَ الصُّوفِ، قَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَهَّزَهُمَا بِهَا، وَوِسَادَةٍ مَحْشُوَّةٍ إِذْخِرًا وَقِرْبَةٍ[3].

نوم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في المسجد وإصابته بالتراب:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ: **أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟**، قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١١٣)، ومسلم (٢٧٢٧).

(٢) أخرجها الحميدي في «مسنده» (٤٤)، وغيره بإسناد قوي وعطاء بن السائب اختلط ولكن الراوي عنه سفيان بن عيينة وسماعه منه قديم.

(٣) **قوي:** أخرجه ابن ماجه (٤١٥٢)، وغيره.

فَلَمْ يَقِلْ[١] عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ[٢]: **انْظُرْ أَيْنَ هُوَ**؟، فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: **قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ**»[٣].

استغناؤهم عن بعض أصناف الطعام رغم حبهم له:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِى بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: أُتِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَقَالَ: أَمَا وَاللهِ لَتَمْرَيَنَّ أَيُّهَا الْبَطْنُ عَلَى الْخُبْزِ وَالزَّيْتِ مَا دَامَ السَّمْنُ يُبَاعُ بِالأَوَاقِ»[٤].

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: أصاب الناس سنة غلا فيها السمن وكان عمر يأكل الزيت فيقرقر بطنه[٥] فيقول: قرقر ما شئت فوالله لا تأكل السمن حتى يأكله الناس، ثم قال: اكسر عني حره بالنار فكنت أطبخه له فيأكله»[٦].

احتمال ابن عباس رضي الله عنهما العناء والمشقة في طلبه للعلم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لمـا تـوفي رسـول الله ﷺ، قلت لرجل من

---

(١) من القيلولة وهي النوم نصف النهار.

(٢) قال في «الفتح » يظهر لي أنه سهل راوي الحديث لأنه لم يذكر أنه كان مع النبي ﷺ غيره.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤١)، ومسلم (٢٤٠٩).

(٤) **صحيح:** أخرجه أبو داود في «الزهد» (٥٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٦)، وثم آثار في الباب ذكرتها في كتابي «شفاء قلوب الأخيار بما يتعلق بغلاء الأسعار».

(٥) صوت البطن من الجوع.

(٦) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٩٥) بإسناد صحيح.

الأنصار: يا فلان، هلم فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجبا لك يا ابن عباس، أترى الناس يحتاجون إليك؟!، وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى، فترك ذلك، وأقبلت على المسألة فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل فأتوسد ردائي على بابه فتسفي الريح على وجهي التراب، فيخرج فيراني، فيقول: يا بن عم رسول الله ما جاء بك؟، إلا أرسلت إلي فآتيك، فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسأله عن الحديث، قال: فبقي الرجل حتى رآني، وقد اجتمع الناس علي، فقال: كان هذا الفتى أعقل مني»[(١)].

وعن ابن عباس، قال: وجدت عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار، إن كنت لأقيل بباب أحدهم ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي عليه، ولكن أبتغي بذاك طيب نفسه»[(٢)].

أبو ذر رضي الله عنه يتحمل المشقة والمخاطر لتعلم الحق:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الْوَادِي، فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يَأْتِيهِ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، فَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الْآخَرُ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَكَلَامًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، فَقَالَ: مَا شَفَيْتَنِي فِيمَا أَرَدْتُ فَتَزَوَّدَ وَحَمَلَ شَنَّةً لَهُ[(٣)]، فِيهَا مَاءٌ حَتَّى قَدِمَ

---

(١) أخرجه الدارمي (٥٩٠)، وغيره بإسناد صحيح.

(٢) **حسن:** أخرجه أبو خيثمة في «العلم» (١٣٣) ومن طريقه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢١٧) وسنده حسن لحال محمد بن عمرو بن علقمة.

(٣) هي القربة البالية.

مَكَّةَ، فَأَتَى الْمَسْجِدَ فَالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ، حَتَّى أَدْرَكَهُ - يَعْنِي اللَّيْلَ - فَاضْطَجَعَ، فَرَآهُ عَلِيٌّ فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيبٌ، فَلَمَّا رَآهُ تَبِعَهُ، فَلَمْ يَسْأَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وَزَادَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَظَلَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَا يَرَى النَّبِيَّ ﷺ، حَتَّى أَمْسَى، فَعَادَ إِلَى مَضْجَعِهِ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ، فَقَالَ: مَا آنَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَهُ؟ فَأَقَامَهُ، فَذَهَبَ بِهِ مَعَهُ، وَلَا يَسْأَلُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الثَّالِثِ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَقَامَهُ عَلِيٌّ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَلَا تُحَدِّثُنِي؟ مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ هَذَا الْبَلَدَ؟ قَالَ: إِنْ أَعْطَيْتَنِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَتُرْشِدَنِّي، فَعَلْتُ، فَفَعَلَ. فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: فَإِنَّهُ حَقٌّ وَهُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَاتَّبِعْنِي، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْكَ، قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الْمَاءَ، فَإِنْ مَضَيْتُ فَاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي، فَفَعَلَ، فَانْطَلَقَ يَقْفُوهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَدَخَلَ مَعَهُ، فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي»** فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَثَارَ الْقَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ، فَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تُجَّارِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِمْ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ بِمِثْلِهَا، وَثَارُوا إِلَيْهِ فَضَرَبُوهُ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ فَأَنْقَذَهُ»[١].

وفي رواية عند مسلم (٢٤٧٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَرَجْنَا مِنْ قَوْمِنَا غِفَارٍ، وَكَانُوا يُحِلُّونَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَخِي أُنَيْسٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦١)، ومسلم (٢٤٧٤).

وَأُمُّنَا، فَنَزَلْنَا عَلَى خَالٍ لَنَا، فَأَكْرَمَنَا خَالُنَا وَأَحْسَنَ إِلَيْنَا، فَحَسَدَنَا قَوْمُهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ إِذَا خَرَجْتَ عَنْ أَهْلِكَ خَالَفَ إِلَيْهِمْ أُنَيْسٌ، فَجَاءَ خَالُنَا فَنَثَا[1] عَلَيْنَا الَّذِي قِيلَ لَهُ، فَقُلْتُ: أَمَّا مَا مَضَى مِنْ مَعْرُوفِكَ فَقَدْ كَدَّرْتَهُ، وَلَا جِمَاعَ لَكَ فِيمَا بَعْدُ، فَقَرَّبْنَا صِرْمَتَنَا[2]، فَاحْتَمَلْنَا عَلَيْهَا، وَتَغَطَّى خَالُنَا ثَوْبَهُ فَجَعَلَ يَبْكِي، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى نَزَلْنَا بِحَضْرَةِ مَكَّةَ، فَنَافَرَ[3] أُنَيْسٌ عَنْ صِرْمَتِنَا وَعَنْ مِثْلِهَا[4]، فَأَتَيَا الْكَاهِنَ، فَخَيَّرَ أُنَيْسًا، فَأَتَانَا أُنَيْسٌ بِصِرْمَتِنَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا. قَالَ: وَقَدْ صَلَّيْتُ، يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللهِ ﷺ بِثَلَاثِ سِنِينَ، قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، قُلْتُ: فَأَيْنَ تَوَجَّهُ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهُ حَيْثُ يُوَجِّهُنِي رَبِّي، أُصَلِّي عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أُلْقِيتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ[5]، حَتَّى تَعْلُوَنِي الشَّمْسُ. فَقَالَ أُنَيْسٌ: إِنَّ لِي حَاجَةً بِمَكَّةَ فَاكْفِنِي، فَانْطَلَقَ أُنَيْسٌ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، فَرَاثَ عَلَيَّ[6]، ثُمَّ جَاءَ فَقُلْتُ: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: لَقِيتُ رَجُلًا بِمَكَّةَ عَلَى دِينِكَ، يَزْعُمُ أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ، قُلْتُ: فَمَا يَقُولُ النَّاسُ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: شَاعِرٌ، كَاهِنٌ، سَاحِرٌ، وَكَانَ أُنَيْسٌ أَحَدَ الشُّعَرَاءِ.

---

(١) أي أشاعه وأفشاه.

(٢) الصرمة هي القطعة من الإبل وتطلق أيضا على القطعة من الغنم.

(٣) **قال أبو عبيد وغيره:** في شرح هذا المنافرة المفاخرة والمحاكمة فيفخر كل واحد من الرجلين على الآخر ثم يتحاكمان إلى رجل ليحكم أيهما خير وأعز نفرا وكانت هذه المفاخرة في الشعر أيهما أشعر.

(٤) معناه تراهن هو وآخر أيهما أفضل وكان الرهن صرمة ذا وصرمة ذاك فأيهما كان أفضل أخذ الصرمتين فتحاكما إلى الكاهن فحكم بأن أنيسا أفضل وهو معنى قوله فخير أنيسا أي جعله الخيار والأفضل.

(٥) هو الكساء وجمعه أخفية ككساء وأكسية.

(٦) أي أبطأ.

قَالَ أُنَيْسٌ: لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ، فَمَا هُوَ بِقَوْلِهِمْ، وَلَقَدْ وَضَعْتُ قَوْلَهُ عَلَى أَقْرَاءِ الشِّعْرِ[١]، فَمَا يَلْتَئِمُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ بَعْدِي، أَنَّهُ شِعْرٌ، وَاللهِ إِنَّهُ لَصَادِقٌ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. قَالَ: قُلْتُ: فَاكْفِنِي حَتَّى أَذْهَبَ فَأَنْظُرَ، قَالَ فَأَتَيْتُ مَكَّةَ فَتَضَعَّفْتُ[٢] رَجُلًا مِنْهُمْ، فَقُلْتُ: أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِئَ[٣]؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ، فَقَالَ: الصَّابِئَ، فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي بِكُلِّ مَدَرَةٍ وَعَظْمٍ، حَتَّى خَرَرْتُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، قَالَ: فَارْتَفَعْتُ حِينَ ارْتَفَعْتُ، كَأَنِّي نُصُبٌ أَحْمَرُ[٤]، قَالَ: فَأَتَيْتُ زَمْزَمَ فَغَسَلْتُ عَنِّي الدِّمَاءَ: وَشَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا، وَلَقَدْ لَبِثْتُ، يَا ابْنَ أَخِي ثَلَاثِينَ، بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ، فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي[٥]، وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ[٦]. قَالَ فَبَيْنَا أَهْلُ مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءَ إِضْحِيَانٍ[٧]، إِذْ ضُرِبَ عَلَى أَسْمِخَتِهِمْ[٨]، فَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ أَحَدٌ. وَامْرَأَتَانِ[٩]

---

(١) أي طرقه وأنواعه.

(٢) يعني نظرت إلى أضعفهم فسألته لأن الضعيف مأمون الغائلة دائما.

(٣) منصوب على الإغراء أي انظروا وخذوا هذا الصابئ.

(٤) يعني من كثرة الدماء التي سالت مني بضربهم والنصب والنصب الصنم والحجر كانت الجاهلية تنصبه وتذبح عنده فيحمر بالدم وجمعه أنصاب.

(٥) جمع عكنة وهو الطي في البطن من السمن معنى تكسرت أي انثنت طاقات لحم بطنه.

(٦) بفتح السين وضمها هي رقة الجوع وضعفه وهزاله.

(٧) أي مضيئة منورة يقال ليلة إضحيان وإضحيانة وضحياء ويوم أضحيان.

(٨) هكذا هو في جميع النسخ وهو جمع سماخ وهو الخرق الذي في الأذن يفضي إلى الرأس يقال صماخ وسماخ والصاد أفصح وأشهر والمراد بأسمختهم هنا آذانهم أي ناموا.

(٩) هكذا هو في معظم النسخ بالياء وفي بعضها وامرأتان بالألف والأول منصوب بفعل محذوف أي ورأيت امرأتين.

مِنْهُمْ تَدْعُوَانِ إِسَافًا، وَنَائِلَةَ، قَالَ: فَأَتَتَا عَلَيَّ فِي طَوَافِهِمَا فَقُلْتُ: أَنْكِحَا أَحَدَهُمَا الْأُخْرَى، قَالَ: فَمَا تَنَاهَتَا[1] عَنْ قَوْلِهِمَا قَالَ: فَأَتَتَا عَلَيَّ فَقُلْتُ: هَنٌ مِثْلُ الْخَشَبَةِ[2]، غَيْرَ أَنِّي لَا أَكْنِي فَانْطَلَقَتَا تُوَلْوِلَانِ[3]، وَتَقُولَانِ: لَوْ كَانَ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَنْفَارِنَا[4] قَالَ فَاسْتَقْبَلَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا هَابِطَانِ، قَالَ: **«مَا لَكُمَا؟»** قَالَتَا: الصَّابِئُ بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَأَسْتَارِهَا، قَالَ: **«مَا قَالَ لَكُمَا؟»** قَالَتَا: إِنَّهُ قَالَ لَنَا كَلِمَةً تَمْلَأُ الْفَمَ[5]، وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى اسْتَلَمَ الْحَجَرَ، وَطَافَ بِالْبَيْتِ هُوَ وَصَاحِبُهُ، ثُمَّ صَلَّى فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ - قَالَ أَبُو ذَرٍّ - فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ مَنْ حَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، قَالَ فَقُلْتُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: **«وَعَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ»** ثُمَّ قَالَ **«مَنْ أَنْتَ؟»** قَالَ قُلْتُ: مِنْ غِفَارٍ، قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: كَرِهَ أَنِ انْتَمَيْتُ إِلَى غِفَارٍ، فَذَهَبْتُ آخُذُ بِيَدِهِ، فَقَدَعَنِي[6] صَاحِبُهُ، وَكَانَ أَعْلَمَ بِهِ مِنِّي، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: **«مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا؟»** قَالَ قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قَالَ: **«فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟»** قَالَ قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكَنُ بَطْنِي، وَمَا أَجِدُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةَ جُوعٍ، قَالَ: **«إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ**

---

(١) أي ما انتهتا.

(٢) الهن والهنة بتخفيف نونها هو كناية عن كل شئ وأكثر ما يستعمل كناية عن الفرج والذكر فقال لها أو مثل الخشبة في الفرج وأراد بذلك سب إساف ونائلة وغيظ الكفار بذلك.

(٣) الولولة الدعاء بالويل.

(٤) الأنفار جمع نفر أو نفير وهو الذي ينفر عند الاستغاثة.

(٥) أي عظيمة لا شيء أقبح منها كالشيء الذي يملأ الشيء ولا يسع غيره وقيل معناه لا يمكن ذكرها وحكايتها كأنها تسد فم حاكيها وتملؤه لاستعظامها.

(٦) أي كفني يقال قدعه وأقدعه إذا كفه ومنعه.

طُعْمٍ[١]**»** فقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ ائذَنْ لِي فِي طَعَامِهِ اللَّيْلَةَ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، فَفَتَحَ أَبُو بَكْرٍ بَابًا، فَجَعَلَ يَقْبِضُ لَنَا مِنْ زَبِيبِ الطَّائِفِ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ طَعَامٍ أَكَلْتُهُ بِهَا، ثُمَّ غَبَرْتُ مَا غَبَرْتُ[٢]، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِي أَرْضٌ**[٣] **ذَاتُ نَخْلٍ، لَا أُرَاهَا إِلَّا يَثْرِبَ**[٤]**، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ**» فَأَتَيْتُ أُنَيْسًا فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: صَنَعْتُ أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، قَالَ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكَ[٥]، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَأَتَيْنَا أُمَّنَا، فَقَالَتْ: مَا بِي رَغْبَةٌ عَنْ دِينِكُمَا، فَإِنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ وَصَدَّقْتُ، فَاحْتَمَلْنَا حَتَّى أَتَيْنَا قَوْمَنَا غِفَارًا، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمْ وَكَانَ يَؤُمُّهُمْ أَيْمَاءُ بْنُ رَحَضَةَ الْغِفَارِيُّ وَكَانَ سَيِّدَهُمْ. وَقَالَ نِصْفُهُمْ: إِذَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَسْلَمْنَا، فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ نِصْفُهُمُ الْبَاقِي وَجَاءَتْ أَسْلَمُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ إِخْوَتُنَا، نُسْلِمُ عَلَى الَّذِي أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ**».

---

(١) أي تشبع شاربها كما يشبعه الطعام.

(٢) أي بقيت ما بقيت.

(٣) أي أريت جهتها.

(٤) هذا كان قبل تسمية المدينة طابة وطيبة وقد جاء بعد حديث في النهي عن تسميتها يثرب.

(٥) أي لا أكرهه بل أدخل فيه.

عدم غفلتهم لما فاتهم من العلم عند غيابهم لطلب العيش:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَجَارٌ لِي[1] مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي المَدِينَةِ[2] وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، يَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ بِخَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الوَحْيِ وَغَيْرِهِ، وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ...»[3].

قال البخاري: بَابُ التَّنَاوُبِ فِي العِلْمِ.

قال ابن حجر: «وفيه أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه ليستعين على طلب العلم وغيره مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته لما علم من حال عمر أنه كان يتعانى التجارة إذ ذاك» «فتح الباري».

ضيق عيش الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأهل بيته وقلة عيشهم:

عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ، وَمَا لَهُ فِي الأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلاَ مَمْلُوكٍ[4]، وَلاَ شَيْءٍ غَيْرَ نَاضِحٍ[5] وَغَيْرَ فَرَسِهِ، فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَسْتَقِي المَاءَ، وَأَخْرِزُ[6] غَرْبَهُ[7] وَأَعْجِنُ، وَلَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبِزُ، وَكَانَ يَخْبِزُ

---

(١) هو عتبان بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقيل غيره.

(٢) جمع عالية وهي قرى قريبة منها من فوقها من جهة الشرق.

(٣) أخرجه البخاري (٨٩)، ومسلم (١٤٧٩).

(٤) من عبد أو أمة.

(٥) بعير يستقى عليه.

(٦) من الخرز وهو خياطة الخلود ونحوها.

(٧) الدلو الكبير.

جَارَاتٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ، وَكُنَّ نِسْوَةَ صِدْقٍ، وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى رَأْسِي، وَهِيَ مِنِّي عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ، فَجِئْتُ يَوْمًا وَالنَّوَى عَلَى رَأْسِي، فَلَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَدَعَانِي ثُمَّ قَالَ: «**إِخْ إِخْ**» لِيَحْمِلَنِي خَلْفَهُ، فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسِيرَ مَعَ الرِّجَالِ، وَذَكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغَيْرَتَهُ وَكَانَ أَغْيَرَ النَّاسِ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنِّي قَدِ اسْتَحْيَيْتُ فَمَضَى، فَجِئْتُ الزُّبَيْرَ فَقُلْتُ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَلَى رَأْسِي النَّوَى، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَنَاخَ لِأَرْكَبَ، فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ وَعَرَفْتُ غَيْرَتَكَ، فَقَالَ: وَاللهِ لَحَمْلُكِ النَّوَى كَانَ أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ رُكُوبِكِ مَعَهُ، قَالَتْ: حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ تَكْفِينِي سِيَاسَةَ الفَرَسِ[١]، فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَنِي»[٢].

تحمل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لشدة العيش:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «**مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا[٣] مِنَ النَّارِ**»[٤].

قلة ما كان عندهم من طعام:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُ بِالصَّدَقَةِ

(١) ترويضها وتدريبها.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٤)، ومسلم (٢١٨٢).

(٣) حاجز يحجزه ويحجبه من النار بفضل تربيتهن والإحسان إليهن.

(٤) أخرجه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩).

فَيَحْتَالُ[١] أَحَدُنَا حَتَّى يَجِيءَ بِالْمُدِّ[٢]، وَإِنَّ لِأَحَدِهِمْ الْيَوْمَ مِائَةَ أَلْفٍ كَأَنَّهُ يُعَرِّضُ بِنَفْسِهِ»[٣].

قال ابن حجر:

«وأشار بذلك إلى ما كانوا عليه في عهد النبي ﷺ من قلة الشيء وإلى ما صاروا إليه بعده من التوسع لكثرة الفتوح ومع ذلك فكانوا في العهد الأول يتصدقون بما يجدون ولو جهدوا والذين أشار إليهم آخرا بخلاف ذلك»[٤].

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يشتري بعيرا ويرحل شهرا لطلب حديث:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، يَقُولُ: بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا، حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ رضي الله عنه، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ فَاعْتَنَقَنِي، وَاعْتَنَقْتُهُ، فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ، أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا»** قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: **«لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي**

---

(١) يجتهد ويسعى. وفي رواية «يَتَحَامَلُ» وهو تكلف الحمل على مشقة.

(٢) فيصيب المد أي في مقابلة أجرته

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٦٩).

(٤) «فتح الباري» (٣/ ٢٨٤).

لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ» قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ ﷻ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟ قَالَ: **بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**»[1].

ومن ضيق ما كانوا فيه كانوا يكتبون بأطراف القصب على أكفهم:

أخرج الدارمي في «سننه» (٥٢٠) بإسناد صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنَشٍ، قَالَ: «رَأَيْتُهُمْ يَكْتُبُونَ عِنْدَ الْبَرَاءِ بِأَطْرَافِ الْقَصَبِ عَلَى أَكُفِّهِمْ».

قال أَبُو الْفَضْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُرَاسَانِي:

رَحَلْتُ أَطْلُبُ أَصْلَ الْعِلْمِ مُجْتَهِدًا ... وَزِينَةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا الْأَحَادِيثُ

لَا يَطْلُبُ الْعِلْمَ إِلَّا بَازِلٌ ذَكَرٌ ... وَلَيْسَ يُبْغِضُهُ إِلَّا الْمَخَانِيثُ

لَا تَعْجَبَنَّ بِمَالٍ سَوْفَ تَتْرُكُهُ ... فَإِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَوَارِيثُ

شعبة بن الحجاج يبيع طستا لأمه لشدة فقره:

قال شعبة: «من طلب الحديث أفلس، لقد أفلست حتى بعت طستا لأمي بسبعة دنانير»[2].

---

(١) علقه البخاري مجزوما به في باب: الخُرُوجِ فِي طَلَبِ العِلْمِ، ووصله أحمد (٣/ ٤٩٥)، وغيره بإسناد صحيح.

(٢) **حسن:** أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١/ ٧٠)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٩٩)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٩٤) بإسناد حسن لحال أبي مسلم عبد الرحمن بن يونس.

قال سليمان بن حرب: لو نظرت إلى ثياب شعبة لم تكن تسوى عشرة دراهم، أزاره وقميصه ورداؤه وكان شيخـًا كثير الصدقة»[(١)].

ربيعة[(٢)] يبيع خشب سقف بيته في طلبه للعلم:

عن ابن القاسم، قال: كان مالك يقول: إن هذا الأمر لن ينال حتى يذاق فيه طعم الفقر.

وذكر ما نزل بربيعة من الفقر في طلب العلم حتى باع خشب سقف بيته في طلب العلم، وحتى كان يأكل ما يلقى على مزابل المدينة من الزبيب وعصارة التمر»[(٣)].

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ: «لَا يُفْلِحُ فِي هَذَا الْأَمْرِ[(٤)] إِلَّا مَنْ أَحْرَقَ الْبُنُّ قَلْبَهُ»[(٥)].

صبر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري على طلب العلم وتعليمه:

قال ابن شهاب: ما صبر أحد على العلم صبري ولا نشره أحد نشري، فأما عروة فكان بئراً لا تكدره الدلاء، وأما سعيد بن المسيب فنصب نفسه للناس فذهب ذكره كل مذهب[(٦)].

---

(١) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ١٦٢) بإسناد صحيح.

(٢) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن: فروخ القرشي التيمي مولاهم أبو عثمان ويقال أبو عبد الرحمن المدني المعروف بربيعة الرأي.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٩٤) بإسناد ثابت.

(٤) يعني طلب العلم.

(٥) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٩٤) بإسناد صحيح إليه.

(٦) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٥١) بإسناد صحيح.

وكان الضيق والشدة أيام الطلب لا تدفعهم على الحرص بعد رزقهم بالمال الكثير:

عن مالك بن أنس قال: كان ابن شهاب من أسخى الناس، فلما أصاب تلك الأموال قال له مولى له -وهو يعظه-: قد رأيت ما مر عليك من الضيق والشدة فانظر كيف تكون وأمسك عليك مالك. فقال ابن شهاب: ويحك إني لم أر الكريم تحكمه التجارب»[١].

وكانوا يسكنون حديث النفس عن الفقر بالعمل بما يكفي الحاجة:

عن رجاء بن أبي سلمة قال: قلت لحسان بن أبي سنان: أما تحدث نفسك بالفاقة؟ قال: بلى. قال: فأقول لها يا نفس إذا كان ذلك أخذت المسحاة فجلست مع الفعلة فأصبت دانقـًا أو دانقين فتعيشين به فتسكن[٢].

زياد بن سعد[٣] لا يجد نفقة ينفقها على نفسه في طلب العلم فيكفله شيخه ابن شهاب الزهري:

قال زياد بن سعد للزهري: أن حديثك ليعجبني ولكن ليست معي نفقة فأتبعك. قال: اتبعني أحدثك وأنفق عليك[٤].

---

(١) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٥١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٥٠) بإسناد حسن لحال داود بن عبد الله.

(٢) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٤١) بإسناد ثابت سعيد بن أسد روى عنه الفسوي وأبو زرعة ونعته الذهبي فقال كان فاضلا.

(٣) هو زياد بن سعد بن عبد الرحمن الخراساني، أبو عبد الرحمن، ثقة ثبت، قال ابن عيينة: كان أثبت أصحاب الزهري.

(٤) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٣٥٨) بإسناد صحيح عنه.

ومن حبهم لطلب العلم طلبهم له بالليل وهم يسيرون مع مشايخهم في الطريق:

عن سَعِيد بْنِ جُبَيْرٍ، يَقُولُ: «كُنْتُ أَسِيرُ مَعَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي طَرِيقِ مَكَّةَ لَيْلًا، وَكَانَ يُحَدِّثُنِي بِالْحَدِيثِ فَأَكْتُبُهُ فِي وَاسِطَةِ الرَّحْلِ، حَتَّى أُصْبِحَ فَأَكْتُبَهُ»(١).

مكحول الشامي(٢) يرحل إلى البلاد شرقا وغربا يتحمل المشقة من أجل العلم:

عن مكحول، قال: عتقت بمصر فلم أدع بها علماً إلا حويت عليه، فيما أرى، ثم أتيت العراق، لم أدع بها علماً إلا حويت عليه، فيما أرى، ثم أتيت المدينة فلم أدع بها علماً إلا حويت عليه، فيما أرى، ثم أتيت الشام فغربلتها»(٣).

الشافعي لا يجد أجرة معلم القرآن، ولا يجد ما يشتري به ورقا يكتب عليه العلم لضيق العيش والفقر:

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ: كُنْتُ يَتِيمًا فِي حِجْرِ أُمِّي فَدَفَعَتْنِي فِي الْكُتَّابِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا مَا تُعْطِي الْمُعَلِّمَ، فَكَانَ الْمُعَلِّمُ قَدْ رَضِيَ مِنِّي أَنْ أَخْلُفَهُ إِذَا قَامَ، فَلَمَّا خَتَمْتُ الْقُرْآنَ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَكُنْتُ أُجَالِسُ الْعُلَمَاءَ، وَكُنْتُ أَسْمَعُ الْحَدِيثَ أَوِ الْمَسْأَلَةَ فَأَحْفَظُهَا، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أُمِّي مَا تُعْطِينِي أَنْ أَشْتَرِيَ بِهِ قَرَاطِيسَ قَطُّ، فَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ عَظْمًا يَلُوحُ آخُذُهُ فَأَكْتُبُ فِيهِ، فَإِذَا امْتَلأَ طَرَحْتُهُ فِي جَرَّةٍ كَانَتْ لَنَا قَدِيمًا، قَالَ: ثُمَّ قَدِمَ وَالٍ عَلَى الْيَمَنِ فَكَلَّمَهُ لِي

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (٥١٦) بإسناد صحيح

(٢) مكحول الشامي، أبو عبد الله، ويقال أبو أيوب، ويقال أبو مسلم - والمحفوظ الأول - الدمشقي الفقيه.

(٣) أخرجه أبو زرعة في «تاريخه» (ص٣٠) بإسناد حسن.

بَعْضُ الْقُرَشِيِّينَ أَنْ أَصْحَبَهُ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَ أُمِّي مَا تُعْطِينِي أَتَحَمَّلُ بِهِ، فَرَهَنَتْ دَارَهَا بِسِتَّةَ عَشَرَ دِينَارًا فَأَعْطَتْنِي فَتَحَمَّلْتُ بِهَا مَعَهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْيَمَنَ اسْتَعْمَلَنِي عَلَى عَمَلٍ فَحُمِدْتُ فِيهِ، فَزَادَنِي عَمَلًا فَحُمِدْتُ فِيهِ، فَزَادَنِي عَمَلًا وَقَدِمَ الْعُمَّارُ مَكَّةَ فِي رَجَبٍ فَأَثْنَوْا عَلَيَّ، فَطَارَ لِي بِذَلِكَ ذِكْرٌ، فَقَدِمْتُ مِنَ الْيَمَنِ فَلَقِيتُ ابْنَ أَبِي يَحْيَى فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَبَّخَنِي وَقَالَ: تُجَالِسُونَا وَتَصْنَعُونَ وَتَصْنَعُونَ، فَإِذَا شَرَعَ لِأَحَدِكُمْ شَيْءٌ دَخَلَ فِيهِ، أَوْ نَحْوَ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ، قَالَ: فَتَرَكْتُهُ ثُمَّ لَقِيتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَحَّبَ بِي، وَقَالَ: قَدْ بَلَغَتْنَا وِلَايَتُكَ، فَمَا أَحْسَنُ مَا انْتَشَرَ عَنْكَ وَمَا أَدَّيْتَ كُلَّ الَّذِي لِلَّهِ عَلَيْكَ، فَلَا تَعُدْ، قَالَ: فَكَانَتْ مَوْعِظَةُ سُفْيَانَ إِيَّايَ أَبْلَغَ مِمَّا صَنَعَ بِي ابْنُ أَبِي يَحْيَى»[1].

إفلاس الشافعي في طلبه للعلم وبيعه لحلي زوجته وابنته:

قَالَ: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ سَوَّادٍ السَّرْحِيَّ، قَالَ: كَانَ الشَّافِعِيُّ أَسْخَى النَّاسِ عَلَى الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالطَّعَامِ، فَقَالَ لِيَ الشَّافِعِيُّ: أَفْلَسْتُ فِي عُمْرِي ثَلاثَ إِفْلاسَاتٍ، فَكُنْتُ أَبِيعُ قَلِيلِي وَكَثِيرِي، حَتَّى حُلِيَّ ابْنَتِي وَزَوْجَتِي، وَلَمْ أَرْهَنْ قَطُّ»[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص٢٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٧٣)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٩٦)، وغيرهم بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص٩٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٧٧)، وابن عساكر في «تاريخه» (٥١/ ٣٩٧) بإسناد صحيح.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: «أَفْلَسْتُ مِنْ دَهْرِي ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَرُبَّمَا أَكَلْتُ التَّمْرَ بِالسَّمَكِ»(١).

عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: قال الشافعي: لم يكن لى مال وكنت أطلب العلم فى الحداثة وكنت أذهب إلى الديوان استوهب الظهور فأكتب فيها»(٢).

تحمل ابن الجوزي الفقر وفقده لماله بسبب الرحلة لطلب العلم:

قال ابن الجوزي:

«واعلم يا بني أن أبي كان موسرًا وخلَف ألوفًا من المال، وكان أبوك طفلاً، فأُنفِق عليه من ذلك المال إلى أن بلغ، ولم يرَ بعد بلوغه سوى دارَين، كان يسكن واحدة ويأخذ أجرة الأخرى، ثم أُعطي نحو عشرين دينارًا، وقيل له: هذه التركة كلها، فأخذتُ الدنانير واشتريت بها كتبًا من كتب العلم، وبعت الدارين وأنفقتُ ثمنهما في طلب العلم، ولم يبق لي شيء من المال، وما ذلَّ أبوك في طلب الدنيا كذل غيره، ولا خرج يطوف البلدان كغيره من الوُعَاظ، ولا رأى أكابرُ البلدان رِقاعَه عندهم يستعطيهم، وأمورُه تجري على السداد. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ (سورة الطلاق: ٢-٣)»(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص٩٤) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص٧٠) بإسناد ثابت.

(٣) «لفتة الكبد في نصيحة الولد» (ص١٠).

وقال في «صيد الخاطر» (ص٧٨): «ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم، فأثمر ذلك عندي أني عرفت بكثرة سماعي لحديث الرسول ﷺ وأحواله وآدابه، وأحوال أصحابه وتابعيهم، فصرت في معرفة طريقه كابن أجود».

صبر إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل على شدائد الحياة:

قال صالح بن أحمد بن حنبل: دخلت على أبي في أيام الواثق، والله يعلم في أي حالة نحن، وقد خرج لصلاة العصر، وقد كان له لبد يجلس عليها، قد أتت عليه سنون كثيرة حتى قد بلي فإذا تحته كتاب كاغد، وإذا فيه بلغني يا أبا عبد الله ما أنت فيه من الضيق، وما عليك من الدين، وقد وجهت إليك بأربعة آلاف درهم على يدي فلان لتقضي بها دينك، وتوسع بها على عيالك، وما هي من صدقة ولا زكاة، وإنما هو شيء ورثته من أبي، فقرأت الكتاب ووضعته، فلما دخل قلت: يا أبت ما هذا الكتاب، فاحمر وجهه، وقال: رفعته منك، ثم قال: تذهب بجوابه، فكتب إلى الرجل وصل كتابك إلي، ونحن في عافية، فأما الدين فإنه لرجل لا يرهقنا، وأما عيالنا فهم في نعمة والحمد لله، فذهبت بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل، فقال: ويحك لو أن أبا عبد الله قبل هذا الشيء، ورمى به مثلا في دجلة كان مأجورا، لأن هذا رجل لا يعرف له معروف، فلما كان بعد حين ورد كتاب الرجل بمثل ذلك،

فرد عليه الجواب بمثل ما رد، فلما مضت سنة أو أقل أو أكثر ذكرناها فقال لو كنا قبلناها كانت قد ذهبت»[١].

قال عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: «حَجَّ أَبِي خَمْسَ حِجَجٍ مَاشِيًا وَاثْنَتَيْنِ رَاكِبًا وَأَنْفَقَ فِي بَعْضِ حَجَّاتِهِ عِشْرِينَ دِرْهَمًا»[٢].

وقال – أيضا –: «خَرَجَ أَبِي إِلَى طَرَسُوسَ مَاشِيًا، وَخَرَجَ إِلَى الْيَمَنِ مَاشِيًا، وَحَجَّ خَمْسَ حِجَجٍ؛ ثَلَاثَةٌ مِنْهَا مَاشِيًا، وَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ رَأَى أَبِي فِي هَذِهِ النَّوَاحِي يَوْمًا إِلَّا إِذَا خَرَجَ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَكَانَ أَصْبَرَ النَّاسِ عَلَى الْوَحْدَةِ، وَبِشْرٌ رَحِمَهُ اللهُ، فِيمَا كَانَ فِيهِ، لَمْ يَكُنْ يَصْبِرُ عَلَى الْوَحْدَةِ، فَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى ذَا سَاعَةً، وَإِلَى ذَا سَاعَةً» أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٧٥) بإسناد صحيح.

قال عبد الرزاق: قَدِمَ عَلَيْنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ هَاهُنَا فَقَامَ سَنَتَيْنِ إِلَّا شَيْئًا، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ خُذْ هَذَا الشَّيْءَ فَانْتَفِعْ بِهِ، فَإِنَّ أَرْضَنَا لَيْسَتْ بِأَرْضِ مَتْجَرٍ وَلَا مَكْسَبٍ، وَأَرَانَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ كَفَّهُ، وَمَدَّهَا فِيهَا دَنَانِيرُ. قَالَ أَحْمَدُ: أَنَا بِخَيْرٍ، «وَلَمْ يَقْبَلْ مِنِّي»[٣].

عمل أحمد بن حنبل أجيرًا مع الحمالين لانقطاع نفقته:

عن إِسْحَاق بْن رَاهَوَيْهِ، قال: «لَمَّا خَرَجَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ انْقَطَعَتْ بِهِ النَّفَقَةُ فَأَكْرَى نَفْسَهُ مِنْ بَعْضِ الْحَمَّالِينَ إِلَى أَنْ وَافَى صَنْعَاءَ وَقَدْ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٨٧)، وغيره بإسناد ثابت.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٧٥) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٧٥) بإسناد صحيح.

كَانَ أَصْحَابُهُ عَرَضُوا عَلَيْهِ الْمُوَاسَاةَ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا»[١].

تعرض طلاب العلم للمخاطر والهلاك في رحلتهم لطلب العلم:

قال يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ أَبِي إِسْرَائِيلَ: خَرَجَ أَبِي وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي الْبَحْرِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَكُسِرَ بِهِمَا الْمَرْكَبُ، فَوَقَعَا فِي جَزِيرَةٍ قَفْرَاءَ عَلَى صَخْرَةٍ مُعَنْوَنَةٍ عَلَيْهَا مَكْتُوبٌ: غَدًا يَتَبَيَّنُ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ إِذَا انْصَرَفَ الْمُنْصَرِفُونَ مِنْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَعَالَى، إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ وَإِمَّا إِلَى نَارٍ»[٢].

قال محمد بن نصر[٣]: خرجت من مصر ومعي جارية لي فركبت البحر أريد مكة، قال: ففرقت فذهب منى ألفى جزء، قال: وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتى، قال: فما رأينا فيها أحدًا، قال: وأخذنى العطش فلم أقدر على الماء، قال: وأجهدت فوضعت رأسى على فخذ جاريتى مستسلمًا للموت، قال: فإذا رجل قد جاءني ومعه كوز، فقال لي: هاه، قال: فأخذت فشربت وسقيت الجارية، قال: ثم مضى فما أدري من أين جاء، ولا من أين ذهب»[٤].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٤٦) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٧٥) بإسناد لا بأس به لحال يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل قال عنه الدارقطني لا بأس به.

(٣) محمد بن نصر أبو عبد الله المروزي الفقيه صاحب التصانيف الكثيرة والكتب الجمة ولد ببغداد ونشأ بنيسابور ورحل إلى سائر الأمصار في طلب العلم واستوطن سمرقند وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام.

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣١٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ١١٥) بإسناد صحيح.

استعذاب طلاب العلم للتعب والجهد في الرحلة لطلب العلم لاستشعارهم عظم البضاعة:

عن أحمد بن إبراهيم الدورقي، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ ابْنُ حَنْبَلٍ مَكَّةَ مِنْ عِنْدِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ رَأَيْتُ بِهِ شُحُوبًا، وَقَدْ تَبَيَّنَ عَلَيْهِ أَثَرُ النَّصَبِ وَالتَّعَبِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي خُرُوجِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّزَّاقِ. فَقَالَ: «مَا أَهْوَنَ الْمَشَقَّةَ فِيمَا اسْتَفَدْنَا مِنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، كَتَبْنَا عَنْهُ حَدِيثَ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ عَنْ أَبِيهِ، وَحَدِيثُ الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ»(١).

وهذا أحمد بن حنبل يغشى عليه في مجلس ابن عيينة:

قال عُثْمَانُ بْنُ يَحْيَى الْقُرْقُسَانِيُّ: عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَكَانَ فِي مَجْلِسِهِ زَحْمَةٌ شَدِيدَةٌ فَغُشِيَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَكَانَ أَصَابَهُ حَرُ الزَّحْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ يُقَالُ لَهُ زَكَرِيَّا، وَكَانَ يَخْدُمُ سُفْيَانَ، وَيَحْمِلُهُ إِلَى الْمَجْلِسِ، فَقَالَ لِسُفْيَانَ: تُحَدِّثُ وَقَدْ مَاتَ خَيْرُ النَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: هَاتِ مَاءً فَأُخْرِجَ مِنْ مَنْزِلِ سُفْيَانَ كُوزُ مَاءٍ فَقَالَ: صُبُّوهُ عَلَى أَحْمَدَ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِبُرُودَةِ الْمَاءِ كَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، وَاتَّقَى الْمَاءَ بِيَدِهِ، وَأَفَاقَ، وَقَطَعَ سُفْيَانُ الْحَدِيثَ وَقَامَ»(٢).

سرقة ثياب أحمد بن حنبل وهو يطلب العلم وتغيبه عن حلقات العلم:

قال عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ بْنِ بَدْرٍ: «كَانَ لَنَا جَارٌ فَأَخْرَجَ إِلَيْنَا كِتَابًا» فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ هَذَا الْخَطَّ قُلْنَا: «نَعَمْ هَذَا خَطُّ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ». فَقُلْنَا لَهُ: «كَيْفَ كَتَبَ ذَلِكَ»

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٨٤) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» بإسناد ثابت.

قَالَ: كُنَّا بِمَكَّةَ مُقِيمِينَ عِنْدَ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ فَقَصَدْنَا أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ أَيَّامًا، فَلَمْ نَرَهُ، ثُمَّ جِئْنَا إِلَيْهِ لِنَسْأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ لَنَا أَهْلُ الدَّارِ الَّتِي هُوَ فِيهَا. هُوَ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ، فَجِئْنَا إِلَيْهِ، وَالْبَابُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ، وَإِذَا عَلَيْهِ خِلْقَانٌ. فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ مَا خَبَرُكَ؟ لَمْ نَرَكَ مُنْذُ أَيَّام؟ فَقَالَ: سُرِقَتْ ثِيَابِي فَقُلْتُ: لَهُ مَعِي دَنَانِيرُ فَإِنْ شِئْتَ خُذْ قَرْضًا وَإِنَّ شِئْتَ صِلَةً. فَأَبَى أَنْ يَفْعَلَ فَقُلْتُ: تَكْتُبُ لِي بِأَخْذِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخْرَجْتُ دِينَارًا، فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، وَقَالَ: اشْتَرِ لِي ثَوْبًا، وَاقْطَعْهُ بِنِصْفَيْنِ فَأَوْمَى أَنَّهُ يَأْتَزِرُ بِنِصْفٍ وَيَرْتَدِي بِالنِّصْفِ الْآخَرِ. وَقَالَ: جِئْنِي بِبَقِيَّتِهِ، فَفَعَلْتُ وَجِئْتُ بِوَرِقٍ وَكَاغَدٍ، فَكَتَبَ لِي، فَهَذَا خَطُّهُ»[١].

شدة وضيق معيشة إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل:

قال أَبُو الْفَضْلِ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: لَمَّا تُوُفِّيَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٌ ابْنُهُ وَوَلِيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ إِسْحَاقَ كَتَبَ الْمُتَوَكِّلُ إِلَيْهِ: أَنْ وَجِّهْ إِلَيَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ إِنَّ عِنْدَكَ طَلِبَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَوَجَّهَهُ بِحَاجِبِهِ مُظَفَّرٍ وَحَضَرَ مَعَهُ صَاحِبُ الْبَرِيدِ، وَكَانَ يُعْرَفُ بِابْنِ الْكَلْبِيِّ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَيْضًا فَقَالَ لَهُ مُظَفَّرٌ: يَقُولُ لَكَ الْأَمِيرُ قَدْ كَتَبَ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ عِنْدَكَ طَلِبَتَهُ، وَقَالَ لَهُ ابْنُ الْكَلْبِيِّ مِثْلَ ذَلِكَ، وَكَانَ قَدْ نَامَ النَّاسُ فَدَفَعَ الْبَابَ وَكَانَ عَلَى أَبِي إِزَارٌ فَفَتَحَ لَهُمُ الْبَابَ وَقَعَدَ عَلَى بَابِهِ وَمَعَهُ النِّسَاءُ، فَلَمَّا قَرَأَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، قَالَ لَهُمْ: إِنِّي مَا أَعْرِفُ هَذَا، وَإِنِّي لَأَرَى طَاعَتَهُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَالْأَثَرَةِ، وَإِنِّي أَسْتَأْسِفُ عَنْ تَأَخُّرِي عَنِ الصَّلَاةِ وَعَنِ حُضُورِ الْجُمُعَةِ وَدَعْوَةِ الْمُسْلِمِينَ. وَقَدْ كَانَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ وَجَّهَ إِلَى أَبِي رَحِمَهُ اللهُ: الْزَمْ بَيْتَكَ وَلَا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٢٤١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٠٢) بإسناد ثابت إلى علي بن الجهم.

تَخْرُجْ إِلَى جُمُعَةٍ وَلَا جَمَاعَةٍ وَإِلَّا نُنْزِلُ بِكَ مَا نَزَلَ بِكَ فِي أَيَّام أَبِي إِسْحَاقَ. ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ: قَدْ أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أُحَلِّفَكَ مَا عِنْدَكَ طَلِبَتُهُ فَتَحْلِفُ، قَالَ: إِنِ اسْتَحْلَفْتَنِي حَلَفْتُ، فَأَحْلَفَهُ بِاللهِ وَبِالطَّلَاقِ مَا عِنْدَكَ طَلِبَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَأَنَّهُمْ أَوْمَأُوا إِلَى أَنَّ عِنْدَهُ عَلَوِيًّا، ثُمَّ قَالَ: أُرِيدُ أَنْ أُفَتِّشَ مَنْزِلَكَ. قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: وَكُنْتُ حَاضِرًا فَقَالَ: وَمُنْزِلَ ابْنِكَ. فَقَامَ مُظَفَّرٌ وَابْنُ الْكَلْبِيِّ وَامْرَأَتَانِ مَعَهُمَا فَدَخَلَا فَفَتَّشَا الْبَيْتَ ثُمَّ فَتَّشَتِ الِامْرَأَتَانِ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ. قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: ثُمَّ دَخَلُوا مَنْزِلِي فَفَتَّشُوهُ وَأَدْلَوْا شَمْعَةً فِي الْبِئْرِ فَنَظَرُوا وَوَجَّهُوا نِسْوَةً فَفَتَّشُوا الْحَرِيمَ وَخَرَجُوا، وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ وَرَدَ كِتَابُ عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ صَحَّ عِنْدَهُ بَرَاءَتُكَ مِمَّا قُذِفْتَ بِهِ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْبِدَعِ قَدْ مَدُّوا أَعْنَاقَهُمْ فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَمْ يُشْمِتْهُمْ بِكَ، وَقَدْ وَجَّهَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَعْقُوبَ الْمَعْرُوفُ بِقَوْصِرَةَ وَمَعَهُ جَائِزَةٌ وَيَأْمُرُكَ بِالْخُرُوجِ فَاللهَ اللهَ أَنْ تَسْتَعْفِيَنِي وَتَرُدَّ الْجَائِزَةَ، قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: ثُمَّ وَرَدَ مِنَ الْغَدِ يَعْقُوبُ فَدَخَلَ إِلَى أَبِي فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: قَدْ صَحَّ نَقَاءُ سَاحَتِكَ وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ آنَسَ بِقُرْبِكَ وَأَتَبَرَّكَ بِدُعَائِكَ وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ مَعُونَةً عَلَى سَفَرِكَ، وَأَخْرَجَ بَدْرَةً فِيهَا صُرَّةٌ نَحْوٌ مِمَّا ذَكَرَ مِائَتَيْ دِينَارٍ وَالْبَاقِي دَرَاهِمُ صِحَاحٌ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ شَدَّهَا يَعْقُوبُ، وَقَالَ: أَعُودُ غَدًا حَتَّى أَنْظُرَ عَلَامَ تَعزِمُ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُشْمِتْ بِكَ أَهْلَ الْبِدَعِ، وَانْصَرَفَ. فَجِئْتُ بِإِجَانَةٍ خَضْرَاءَ كَفَأْتُهَا عَلَى الْبَدْرَةِ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْمَغْرِبِ، قَالَ: يَا صَالِحُ خُذْ هَذِهِ فَصَيِّرْهَا عِنْدَكَ فَصَيَّرْتُهَا عِنْدَ رَأْسِي فَوْقَ الْبَيْتِ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ إِذَا هُوَ يُنَادِي يَا صَالِحُ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا صَالِحُ مَا نِمْتُ لَيْلَتِي هَذِهِ فَقُلْتُ: لِمَ، فَجَعَلَ يَبْكِي، وَقَالَ: سَلِمْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ عُمْرِي بُلِيتُ بِهِمْ، قَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ أَنْ أُفَرِّقَ هَذَا الشَّيْءَ

إِذَا أَصْبَحْتُ. قُلْتُ: ذَاكَ إِلَيْكَ. فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَهُ الْحُسَيْنُ بْنُ الْبَزَّارِ وَالْمَشَايِخُ، فَقَالَ: جِئْنِي يَا صَالِحُ بِالْمِيزَانِ، فَقَالَ: وَجِّهُوا إِلَى أَبْنَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، ثُمَّ قَالَ: وَجِّهْ إِلَى فُلَانٍ حَتَّى يُفَرِّقَ فِي نَاحِيَتِهِ وَإِلَى فُلَانٍ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى فَرَّقَهَا كُلَّهَا وَنَفَضَ الْكِيْسَ وَنَحْنُ فِي حَالَةٍ اللهُ بِهَا عَلِيمٌ. فَجَاءَ بُنَيٌّ لَهُ فَقَالَ: يَا أَبَتِ أَعْطِنِي دِرْهَمًا فَنَظَرَ إِلَيَّ فَأَخْرَجْتُ قِطْعَةً أَعْطَيْتُهُ وَكَتَبَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ أَنَّهُ تَصَدَّقَ بِالدَّرَاهِمِ مِنْ يَوْمِهِ حَتَّى تَصَدَّقَ بِالْكِيْسِ، قَالَ: عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ: فَقُلْتُ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ تَصَدَّقَ بِهَا وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ قَبِلَ مِنْكَ، مَا يَصْنَعُ أَحْمَدُ بِالْمَالِ وَإِنَّمَا قُوتُهُ رَغِيفٌ، قَالَ: فَقَالَ لِي صَدَقْتَ يَا عَلِيُّ. قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: ثُمَّ خَرَجَ أَبِي رَحِمَهُ اللهُ لَيْلًا وَمَعَنَا حُرَّاسٌ مَعَهُمُ النَّفَّاطَاتُ فَلَمَّا أَضَاءَ الْفَجْرُ، قَالَ لِي يَا صَالِحُ أَمَعَكَ دَرَاهِمُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَعْطِهِمْ. فَأَعْطَيْتُهُمْ دِرْهَمًا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا جَعَلَ يَعْقُوبُ يَسِيرُ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أُرِيدُ أَنْ أُؤَدِّيَ عَنْكَ رِسَالَةً إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَسَكَتَ. فَقَالَ: إِنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ إِسْحَاقَ أَخْبَرَنِي أَنَّ الْفَرَايِضِيَّ قَالَ لَهُ أَنِّي أَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَحْمَدَ يُعِيدُ مَا لِي، فَقَالَ: يَا أَبَا يُوسُفَ يَكْفِي اللهُ، فَغَضِبَ يَعْقُوبُ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَعْجَبَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ أَسْأَلُهُ أَنْ يُطْلِقَ لِي كَلِمَةً أُخْبِرُ بِهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا يَفْعَلُ. قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: وَقَصَّرَ أَبِي فِي خُرُوجِهِ إِلَى الْعَسْكَرِ، وَقَالَ: تَقْصُرُ الصَّلَاةَ فِي أَرْبَعَةِ بُرُدٍ وَهِيَ سِتَّةَ عَشَرَ فَرْسَخًا، وَصَلَّيْتُ بِهِ يَوْمًا الْعَصْرَ فَقَالَ لِي: طَوَيْتَ بِنَا الْعَصْرَ، فَقَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ مِقْدَارَ خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً، وَكُنْتُ أُصَلِّي بِهِ فِي الْعَسْكَرِ فَلَمَّا صِرْنَا بَيْنَ الْحَائِطَيْنِ، قَالَ لَنَا يَعْقُوبُ: أَقِيمُوا، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ بِمَا عَمِلَ، فَدَخَلْنَا الْعَسْكَرَ وَأَبِي مُنَكِّسٌ الرَّأْسَ، وَرَأْسُهُ مُغَطًّى، فَقَالَ لَهُ يَعْقُوبُ: اكْشِفْ عَنْ رَأْسِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ. فَكَشَفَ ثُمَّ جَاءَ وَصِيفٌ يُرِيدُ الدَّارَ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى النَّاسِ وَجَمْعِهِمْ قَالَ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ.

فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بَعْدَ مَا جَازَ فَجَاءَ ابْنُ هَرْثَمَةَ، فَقَالَ: الْأَمِيرُ يُقْرِئُكَ السَّلَامُ وَيَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُشْمِتْ بِكَ الْأَعْدَاءَ أَهْلَ الْبِدَعِ، قَدْ عَلِمْتُ مَا كَانَ حَالُ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَكَلَّمَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ وَمَضَى يَحْيَى. قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: أُنْزِلَ أَبِي دَارَ إِيتَاخَ فَجَاءَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ، فَقَالَ: قَدْ أَمَرَ لَكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِعَشَرَةِ آلَافٍ مَكَانَ الَّتِي فَرَّقْتَهَا، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَعْلَمَ بِذَلِكَ فَيَغْتَمَّ. ثُمَّ جَاءَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُكْثِرُ ذِكْرَكَ وَيَقُولُ تُقِيمُ هَاهُنَا تُحَدِّثُ، فَقَالَ: أَنَا ضَعِيفٌ، ثُمَّ وَضَعَ إِصْبَعَهُ عَلَى بَعْضِ أَسْنَانِهِ، فَقَالَ: إِنَّ بَعْضَ أَسْنَانِي تَتَحَرَّكُ وَمَا أَخْبَرْتُ بِذَلِكَ وَلَدِي، ثُمَّ وَجَّهَ إِلَيْهِ: مَا تَقُولُ فِي بَهِيمَتَيْنِ انْتَطَحَتَا فَعَقَرَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى فَسَقَطَتْ فَذُبِحَ؟ فَقَالَ: إِنْ كَانَ أَطْرَفَ بِعَيْنِهِ وَمَصَعَ بِذَنَبِهِ وَسَالَ دَمُهُ يُؤْكَلُ، قَالَ أَبُو الْفَضْلِ: ثُمَّ صَارَ إِلَيْهِ يَحْيَى بْنُ خَاقَانَ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، قَدْ أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَصِيرَ إِلَيْكَ لِتَرْكَبَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللهِ، ثُمَّ قَالَ لِي: قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَقْطَعَ لَهُ سَوَادًا وَطَيْلَسَانًا وَقَلَنْسُوَةً فَأَيُّ قَلَنْسُوَةٍ يَلْبَسُ؟ فَقُلْتُ لَهُ: مَا رَأَيْتُهُ لَبِسَ قَلَنْسُوَةً قَطُّ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُصَيِّرَ لَكَ مَرْتَبَةً فِي أَعْلَى، وَيَصِيرُ أَبُو عَبْدِ اللهِ فِي حِجْرِكَ، ثُمَّ قَالَ لِي: قَدْ أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكُمْ وَعَلَى قَرَابَاتِكُمْ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ فَفَرَّقَهَا عَلَيْكُمْ. ثُمَّ عَادَ يَحْيَى مِنَ الْغَدِ وَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ تَرْكَبُ، فَقَالَ: ذَاكَ إِلَيْكُمْ. فَقَالُوا: اسْتَخِرِ اللهَ فَلَبِسَ إِزَارَهُ وَخُفَّيْهِ، وَقَدْ كَانَ خُفُّهُ قَدْ أُتِيَ عَلَيْهِ، لَهُ عِنْدَهُ نَحْوٌ مِنْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً مَرْقُوعًا بِرِقَاعٍ عِدَّةٍ، فَأَشَارَ يَحْيَى إِلَيَّ بِلُبْسِ قَلَنْسُوَةٍ فَقُلْتُ: مَا لَهُ قَلَنْسُوَةٌ، فَقَالَ: كَيْفَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ حَاسِرًا وَيَحْيَى قَائِمٌ. فَطَلَبْنَا لَهُ دَابَّةً يَرْكَبُ عَلَيْهَا فَقَامَ يَحْيَى يُصَلِّي فَجَلَسَ عَلَى التُّرَابِ، وَقَالَ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥] ثُمَّ رَكِبَ بَغْلَ بَعْضِ التُّجَّارِ فَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أُدْخِلَ دَارَ الْمُعْتَزِّ فَأُجْلِسَ فِي بَيْتِ الدِّهْلِيزِ، ثُمَّ جَاءَ يَحْيَى فَأَخَذَ بِيَدِهِ

حَتَّى أَدْخَلَهُ وَرَفَعَ السِّتْرَ، وَنَحْنُ نَنْظُرُ وَكَانَ الْمُعْتَزُّ قَاعِدًا عَلَى دُكَّانٍ فِي الدَّارِ وَقَدْ كَانَ يَحْيَى تَقَدَّمَ إِلَيْهِ، فَقَالَ يَحْيَى: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَاءَ بِكَ لِيُسَرَّ بِقُرْبِكَ وَيَصِيرَ أَبُو عَبْدِ اللهِ فِي حِجْرِكَ. فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ الْخَدَمِ أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ كَانَ قَاعِدًا وَرَاءَ السِّتْرِ، فَلَمَّا دَخَلَ الدَّارَ قَالَ لِأُمِّهِ: يَا أُمَّهْ قَدْ أَنَارَتِ الدَّارُ، ثُمَّ جَاءَ خَادِمٌ بِمِنْدِيلٍ فَأَخَذَ يَحْيَى الْمِنْدِيلَ فَأَخْرَجَ مِنْهُ مَبْطَنَةً فِيهَا قَمِيصٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِ الْقَمِيصِ وَالْمَبْطَنَةُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَأَخْرَجَ يَدَهُ الْيُمْنَى وَكَذَا الْيُسْرَى، وَهُوَ لَا يُحَرِّكُ يَدَهُ ثُمَّ أَخَذَ قَلَنْسُوَةً فَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ وَأَلْبَسَهُ طَيْلَسَانًا وَلَحَفَهُ بِهِ وَلَمْ يَجِيئُوا بِخُفٍّ فَبَقِيَ الْخُفُّ عَلَيْهِ ثُمَّ صُرِفَ وَقَدْ كَانُوا تَحَدَّثُوا أَنَّهُ يَخْلَعُ عَلَيْهِ سَوَادًا فَلَمَّا صَارُوا إِلَى الدَّارِ نَزَعَ الثِّيَابَ عَنْهُ ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي وَقَالَ: قَدْ سَلِمْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً حَتَّى إِذَا كَانَ فِي آخِرِ عُمْرِي بُلِيتُ بِهِمْ، مَا أَحْسَبُنِي سَلِمْتُ مِنْ دُخُولِي عَلَى هَذَا الْغُلَامِ فَكَيْفَ بِمَنْ يَجِبُ عَلَيَّ نُصْحُهُ مِنْ وَقْتِ أَنْ تَقَعَ عَيْنِي عَلَيْهِ إِلَى أَنْ أَخْرُجَ مِنْ عِنْدِهِ. ثُمَّ قَالَ: يَا صَالِحُ وَجِّهْ بِهَذِهِ الثِّيَابِ إِلَى بَغْدَادَ تُبَاعُ وَيُتَصَدَّقُ بِثَمَنِهَا وَلَا يَشْتَرِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنْهَا فَوَجَّهْتُ بِهَا إِلَى يَعْقُوبَ بْنِ التَخْتكَانِ فَبَاعَهَا وَفَرَّقَ ثَمَنَهَا وَبَقِيَتْ عِنْدِي الْقَلَنْسُوَةُ، ثُمَّ أَخْبَرْنَاهُ أَنَّ الدَّارَ الَّتِي هُوَ فِيهَا كَانَتْ لِأَيْتَامٍ فَقَالَ: اكْتُبْ رُقْعَةً إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْجَرَّاحِ يَسْتَعْفِي لِي مِنْ هَذِهِ الدَّارِ، فَكَتَبْنَا رُقْعَةً فَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ أَنْ يُعْفَى مِنْهَا، وَوَجَّهَ إِلَى قَوْمٍ لِيَخْرُجُوا عَنْ مَنَازِلِهِمْ فَسَأَلَ أَنْ يُعْفَى مِنْ ذَلِكَ فَاشْتُرِيَتْ لَهُ دَارٌ بِمِائَتَيْ دِرْهَمٍ فَصَارَ إِلَيْهَا، وَأُجْرِي لَنَا مَائِدَةٌ وَبَلَحٌ، وَضُرِبَ الْخَيْشُ وَفُرِشَ الطَّرِيُّ، فَلَمَّا رَأَى الْخَيْشَ وَالطَّرِيَّ نَحَّى نَفْسَهُ عَنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، وَأَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى مَضْرَبَةٍ لَهُ. وَاشْتَكَتْ عَيْنُهُ ثُمَّ بَرِئَتْ، فَقَالَ لِي: أَلَا تَعْجَبُ كَانَتْ عَيْنِي تَشْتَكِي فَتَمْكُثُ حِينًا حَتَّى تَبْرَأَ ثُمَّ بَرَأَتْ فِي سُرْعَةٍ، وَجَعَلَ يُوَاصِلُ يُفْطِرُ كُلَّ ثَلَاثٍ عَلَى تَمْرٍ وَسَوِيقٍ، فَمَكَثَ خَمْسَ عَشْرَةَ يُفْطِرُ

فِي كُلِّ ثَلَاثٍ، ثُمَّ جَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ يُفْطِرُ لَيْلَةً وَلَيْلَةً لَا يُفْطِرُ إِلَّا عَلَى رَغِيفٍ، فَكَانَ إِذَا جِيءَ بِالْمَائِدَةِ تُوضَعُ فِي الدِّهْلِيزِ لِكَيْلَا يَرَاهَا فَيَأْكُلُ مَنْ حَضَرَ، فَكَانَ إِذَا أَجْهَدَهُ الْحَرُّ تُبَلُّ لَهُ خِرْقَةٌ فَيَضَعُهَا عَلَى صَدْرِهِ وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُوَجِّهُ إِلَيْهِ ابْنُ مَاسَوَيْهِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَنَا أَمِيلُ إِلَيْكَ وَإِلَى أَصْحَابِكَ وَمَا بِكَ عِلَّةٌ إِلَّا الضَّعْفَ وَقِلَّةَ الْبِرِّ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ مَاسَوَيْهِ: إِنَّا رُبَّمَا أَمَرْنَا عِيَالَنَا بِأَكْلِ الدُّهْنِ وَالْخَلِّ فَإِنَّهُ يُلَيِّنُ وَجَعَلَ بِالشَّيْءِ لَيَشْرَبَهُ فَيَصُبُّهُ، وَقَطَعَ لَهُ يَحْيَى دُرَّاعَةً وَطَيْلَسَانًا سَوَادًا وَجَعَلَ يَعْقُوبُ وَعَتَّابٌ يَصِيرَانِ إِلَيْهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا تَقُولُ فِي ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ فِي مَالِهِ؟ فَلَا يُجِيبُ فِي ذَلِكَ بِشَيْءٍ، وَجَعَلَ يَعْقُوبُ وَعَتَّابٌ يُخْبِرَانِهِ بِمَا يَحْدُثُ فِي أَمْرِ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، ثُمَّ أُحْدِرَ ابْنُ أَبِي دُؤَادٍ إِلَى بَغْدَادَ بَعْدَ مَا أُشْهِدَ عَلَيْهِ بِبَيْعِ ضِيَاعِهِ، وَكَانَ رُبَّمَا صَارَ إِلَيْهِ يَحْيَى وَهُوَ يُصَلِّي فَيَجْلِسُ فِي الدِّهْلِيزِ حَتَّى يَفْرُغَ وَيَحْيَى وَعَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ فَيَنْتَزِعُ سَيْفَهُ وَقَلَنْسُوَتَهُ وَيَدْخُلُ عَلَيْهِ، وَأَمَرَ الْمُتَوَكِّلُ أَنْ يُشْتَرَى لَنَا دَارٌ فَقَالَ: يَا صَالِحُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ، قَالَ: لَئِنْ أَقْرَرْتَ لَهُمْ بِشِرَاءِ ذَلِكَ لَتَكُونَنَّ الْقَطِيعَةُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، إِنَّمَا تُرِيدُونَ أَنْ تُصَيِّرُوا هَذَا الْبَلَدَ لِي مَأْوًى وَمَسْكَنًا فَلَمْ يَزَلْ يَدْفَعُ شِرَاءَ الدَّارِ حَتَّى انْدَفَعَ وَصَارَ إِلَى صَاحِبِ الْمَنْزِلِ، فَقَالَ أُعْطِيكَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مَكَانَ الْمَائِدَةِ، فَقُلْتُ: لَا أَفْعَلُ، وَجَعَلَتْ رُسُلُ الْمُتَوَكِّلِ تَأْتِيهِ يَسْأَلُونَهُ عَنْ خَبَرِهِ، فَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ وَيَقُولُونَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَرَاكَ، فَيَسْكُتُ، فَإِذَا خَرَجُوا قَالَ: أَلَا تَعْجَبُ مِنْ قَوْلِهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يَرَاكَ وَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَرَانِي، وَكَانَ فِي هَذِهِ الدَّارِ حُجْرَةٌ صَغِيرَةٌ فِيهَا بَيْتَانِ، فَقَالَ: أَدْخِلُونِي تِلْكَ الْحُجْرَةَ وَلَا تُسْرِجُوا سِرَاجًا. فَأَدْخَلْنَاهُ إِلَيْهَا فَجَاءَهُ يَعْقُوبُ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُشْتَاقٌ إِلَيْكَ، وَيَقُولُ: انْظُرِ الْيَوْمَ الَّذِي تَصِيرُ إِلَيَّ فِيهِ أَيَّ يَوْمٍ هُوَ حَتَّى أَعْرِفَهُ؟ فَقَالَ: ذَاكَ إِلَيْكُمْ. فَقَالَ: يَوْمُ الْأَرْبِعَاءِ

يَوْمٌ خَالٍ، وَخَرَجَ يَعْقُوبُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جَاءَ، فَقَالَ: الْبُشْرَى يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامُ وَيَقُولُ قَدْ أَعْفَيْتُكَ عَنْ لُبْسِ السَّوَادِ، وَالرُّكُوبِ إِلَيَّ وَإِلَى وَلَاةِ الْعُهُودِ وَإِلَى الدَّارِ فَإِنْ شِئْتَ فَالْبَسِ الْقُطْنَ، وَإِنْ شِئْتَ فَالْبَسِ الصُّوفَ. فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللهَ عَلَى ذَلِكَ. وَقَالَ لَهُ يَعْقُوبُ: إِنَّ لِي ابْنًا وَأَنَا بِهِ مُعْجَبٌ وَلَهُ فِي قَلْبِي مَوْقِعٌ فَأُحِبُّ أَنْ تُحَدِّثَهُ بِأَحَادِيثَ فَسَكَتَ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: أَتُرَاهُ لَا يَرَى مَا أَنَا فِيهِ. وَكَانَ يَخْتِمُ مِنْ جُمُعَةٍ إِلَى جُمُعَةٍ، فَإِذَا خَتَمَ دَعَا فَيَدْعُو وَنُؤَمِّنُ عَلَى دُعَائِهِ، فَلَمَّا كَانَ غَدَاةُ الْجُمُعَةِ وَجَّهَ إِلَيَّ وَإِلَى أَخِي عَبْدِ اللهِ، فَلَمَّا أَنْ خَتَمَ جَعَلَ يَدْعُو وَنُؤَمِّنُ عَلَى دُعَائِهِ ...»[(١)].

وأخرج أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٨/ ٣٣٥) بإسناد صحيح عن إدريس الحداد، قال: كان أحمد بن حنبل إذا ضاق به الأمر آجر نفسه من الحاكة، فسوى لهم، فلما كان أيام المحنة، وصرف إلى بيته، حمل إليه مال، فرده وهو محتاج إلى رغيف، فجعل عمه إسحاق يحسب ما يرد، فإذا هو نحو خمس مائة ألف قال: فقال: يا عم، لو طلبناه، لم يأتنا، وإنما أتانا لما تركناه».

خوف السلف من فساد المال لدينهم وإيثارهم الفقر والشدة:

عن هشام، قال: سمعت الحسن يقول: والله لقد أدركت أقواما وإن كان أحدهم ليرث المال العظيم، قال وإنه والله لمجهود شديد الجهد، قال: فيقول لأخيه: يا أخي إني قد علمت أن ذا ميراث وهو حلال ولكني أخاف أن يفسد

---

(١) أخرجه صالح بن أحمد في «سيرة الإمام أحمد بن حنبل» (ص٩٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٠٦) بإسناد صحيح.

على قلبي وعملي فهو لك لا حاجة لي في، قال: فلا يرزأ منه شيئا أبدا قال وهو والله مجهود شديد الجهد»[١].

بيع أبي زرعة لثوبيه لشراء الورق:

عن عبد الرحمن، قال سمعت أبا زرعة يقول: خرجت من الري المرة الثانية سنة سبع وعشرين ومائتين ورجعت سنة اثنتين وثلاثين في أولها، بدأت فحججت ثم خرجت إلى مصر فأقمت بمصر خمسة عشر شهرا وكنت عزمت في بدو قدومي مصر أني أقل المقام بها، فلما رأيت كثرة العلم بها وكثرة الاستفادة عزمت على المقام ولم أكن عزمت على سماع كتب الشافعي، فلما عزمت على المقام وجهت إلى أعرف رجل بمصر بكتب الشافعي فقبلتها منه بثمانين درهما أن يكتبها كلها وأعطيته الكاغذ وكنت حملت معي ثوبين ديبقيين لأقطعهما لنفسي فلما عزمت على كتابتها أمرت ببيعهما فبيعا بستين درهما واشتريت مائة ورقة كاغذ بعشرة دراهم كتبت فيها كتبت الشافعي ثم خرجت إلى الشام فأقمت بها ما أقمت، ثم خرجت إلى الجزيرة وأقمت ما أقمت، ثم رجعت إلى بغداد سنة ثلاثين في آخرها، ورجعت إلى الكوفة وأقمت بها ما أقمت وقدمت البصرة فكتبت بها عن شيبان وعبد الأعلى»[٢].

رضا أهل العلم بالقليل من العيش:

قال أبو الصهباء صلة بن أشيم: طلبت الدنيا من مظان حلالها فجعلت لا أصيب منها إلا قوتا، أما أنا فلا أعي فيه وأما هو فلا يجاوزني فلما رأيت ذلك

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٢٦٠) بإسناد صحيح عنه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٣٤٠) بإسناد صحيح.

قلت أي نفسي جعل رزقك كفافا فاربعي[١] فربعت ولم تكد»[٢].

ابن عيينة يحمل رغيف شعير في كمه ويقول هذا طعامي منذ ستين سنة:

عن حرملة بن يحيى، قال أخذ سفيان بن عيينة بيدي فأقامني في ناحية، وأخرج من كمه رغيف شعير، وقال لي: دع يا حرملة ما يقول الناس، هذا طعامي منذ ستين سنة»[٣].

عن أبي يوسف الفسوي، قال: دَخَلْتُ عَلَى سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ قُرْصَانِ مِنْ شَعِيرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا يُوسُفَ، أَمَا إِنَّهُمَا طَعَامِي مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً»[٤].

مالك بن دينار يعيش في بيت ليس فيه سراج وطعامه رغيف خبز:

قال سَلَّامُ بْنُ أَبِي مُطِيعٍ: دَخَلْنَا عَلَى مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ لَيْلًا وَهُوَ فِي بَيْتٍ بِغَيْرِ سِرَاجٍ وَفِي يَدِهِ رَغِيفٌ يَكْدِمُهُ فَقُلْنَا: أَبَا يَحْيَى أَلَا سِرَاجٌ أَلَا شَيْءٌ تَضَعُ عَلَيْهِ خُبْزَكَ فَقَالَ: «دَعُونِي فَوَاللهِ إِنِّي لَنَادِمٌ عَلَى مَا مَضَى»[٥].

عن المغيرة بن حبيب، قال: يَمُوتُ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ وَأَنَا مَعَهُ فِي الدَّارِ لَا أَدْرِي مَا عَمَلُهُ قَالَ: فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ ثُمَّ جِئْتُ فَلَبِسْتُ قَطِيفَةً فِي

---

(١) اقتصري على هذا وارضي به.

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٢٠٨)، وغيره بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٧٢)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٤٣) بإسناد حسن.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٢)، وفي «تاريخ أصبهان» (٢/ ٤٤٩) بإسناد لا بأس به لحال أبي عمران الطرسوسي روى عنه جمع ولم يعدله أحد.

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ١٨٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٤٠٤) بإسناد صحيح.

أَطْوَلِ مَا يَكُونُ اللَّيْلُ قَالَ: وَجَاءَ مَالِكٌ فَقَرَّبَ رَغِيفَهُ فَأَكَلَ ثُمَّ قَامَ إِلَى آخِرِ الصَّلَاةِ فَاسْتَفْتَحَ ثُمَّ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ فَجَعَلَ يَقُولُ: «إِذَا جَمَعْتَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَحَرِّمْ شَيْبَةَ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ عَلَى النَّارِ» فَوَاللهِ مَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى غَلَبَتْنِي عَيْنِي ثُمَّ انْتَبَهْتُ فَإِذَا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ يُقَدِّمُ رِجْلًا وَيُؤَخِّرُ رِجْلًا وَيَقُولُ: «يَا رَبِّ إِذَا جَمَعْتَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَحَرِّمْ شَيْبَةَ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ عَلَى النَّارِ» فَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللهِ لَئِنْ خَرَجَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ فَرَآنِي لَا تُبَلُّ لِي عِنْدَهُ بَالَّةٌ أَبَدًا قَالَ: فَجِئْتُ إِلَى الْمَنْزِلِ وَتَرَكْتُهُ»(١).

وعند أبي نعيم في «الحلية» بإسناد حسن قال جَعْفَرٌ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ فَجَاءَ هِشَامُ بْنُ حَسَّانَ وَكَانَ يأْتِيهِ هِشَامٌ، وَسَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ، وَحَوْشَبٌ يَطْلُبُونَ قُلُوبَهُمْ فَجَاءَ هِشَامٌ فَقَالَ: «أَيْنَ أَبُو يَحْيَى» قُلْنَا: عِنْدَ الْبَقَّالَ قَالَ: «قُومُوا بِنَا إِلَيْهِ» قَالَ: فَحَانَتْ مِنْهُ نَظْرَةٌ إِلَى هِشَام، فَقَالَ: يَا هِشَامُ إِنِّي أُعْطِي هَذَا الْبَقَّالَ كُلَّ شَهْرٍ دِرْهَمًا وَدَانَقَيْنِ وَآخُذُ مِنْهُ كُلَّ شَهْرٍ سِتِّينَ رَغِيفًا كُلَّ لَيْلَةٍ رَغِيفَيْنِ فَإِذَا أَصَبْتُهُمَا سَخْنًا فَهُوَ أَدَمُهُمَا».

وعند ابن أبي الدنيا في «الجوع» (١٩٩) بإسناد حسن عن جعفر بن سليمان، قال: قال رجل لمالك بن دينار: يا أبا يحيى، يكفيك في اليوم رغيفان؟ قال: «فأنا إذا أريد السمن، قرصان خفيفان، وشربة من الماء، فهما بلغتا المؤمن إلى أجله».

وكانوا يصبحون لا يمتلكون دينارًا ولا درهمًا:

قال مالك: والله لقد أصبحت ما أملك دينارًا ولا درهمًا ولا دانقًا ولئن لم

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٦١) بإسناد حسن لحال المغيرة بن حبيب.

يكن لي عند الله خير ما كانت لي دنيا ولا آخرة»[١].

داود الطائي يبل الخبز اليابس في الماء، وكان يفطر على رغيفين وملح وماء:

عن أبي بَكْرِ بْن عَيَّاشٍ؛ قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى دَاوُدَ الطَّائِيِّ، وَهُوَ يَأْكُلُ خبزاً يابسًا قبل بَلَّهُ بِالْمَاءِ وَبِمِلْحٍ جَرِيشٍ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ تَشْتَهِي هَذَا؟ قَالَ: أَدَعُهُ حَتَّى أَشْتَهِيَهُ»[٢].

وأخرج البيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٩) بإسناد حسن عن الوليد بن عقبة قال كان يخبز لداود الطائي ستون رغيفًا يعلقها بشريط يفطر كل ليلة على رغيفين بملح وماء فأخذ ليلة فطره فجعل ينظر إليه قال ومولاة له سوداء تنظر إليه فقامت فجاءت بشيء من تمر على طبق فأفطر وأصبح صائمًا فلما أن جاء وقت الإفطار أخذ رغيفه وملحًا وماء».

القاسم بن بن عبد الرحمن[٣] يفطر كل يوم على رغيف:

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: ما رأيت أحدًا أفضل من القاسم أبي عبد الرحمن، كنا بالقسطنطينية، وكان الناس يرزقون رغيفين في كل يوم، وكان يتصدق برغيف ويصوم ويفطر على رغيف»[٤].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٦٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٤٠٧) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢/ ٣٩٨) بإسناد ثابت.

(٣) القاسم بن عبد الرحمن الشامي، أبو عبد الرحمن الدمشقي.

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٥٩) بإسناد صحيح إليه.

وكانوا يصومون ولا يجدون ما يفطرون به:

عن إبراهيم بن بشار، قال: أمسينا مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة وليس معنا شيء نفطر عليه ولا لنا حيلة، فرآني مغتما حزينًا، قال: يا إبراهيم بن بشار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعم والراحة في الدنيا والآخرة؟، لا يسألهم الله يوم القيامة عن زكاة ولا حج ولا صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن مواساة، وإنما يسأل ويحاسب عن هذا هؤلاء المساكين أغنياء في الدنيا فقراء في الآخرة، أعزة في الدنيا أذلة يوم القيامة، لا تغتم ولا تحزن، فرزق الله مضمون سيأتيك، نحن والله الملوك الأغنياء، نحن الذين تعجلنا الراحة في الدنيا لا نبالي على أي حال أصبحنا وأمسينا إذا أطعنا الله، ثم قام إلى الصلاة وقمت إلى صلاتي، فما لبثنا إلا ساعة وإذا نحن برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعها بين أيدينا.

وقال: كلوا رحمكم الله، قال: فسلم، ثم قال: كل يا مغموم، فدخل سائل، وقال: أطعمونا شيئا فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر فدفعها إليه وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين، وقال: المواساة من أخلاق المؤمنين»[(١)].

بشر بن الحارث يشتهي الباذنجان عشرين عامًا:

عن أَبي نَصْرٍ التَّمَّار قَالَ: قَالَ لِي بِشْرُ بْنُ الْحَارِثِ: إِنِّي لَأَشْتَهِي هَذَا الْبَاذِنْجَانَ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً»[(١)].

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢/ ١١٤) بإسناد حسن إبراهيم بن بشار ذكره ابن حبان في «الثقات» وقال كان متعبدا، وقال الذهبي في «الميزان» (١/ ٢٤): «الزاهد، صدوق، ما تكلم فيه أحد» وروى عنه جمع.

زهير بن محمد يشتهي اللحم أربعين سنة :

عن عبد الله بن محمد البغوي، قال: ما رأيت بعد أحمد بن حنبل أفضل من زهير، سمعته يقول: أشتهي لحما من أربعين سنة، ولا آكله حتى أدخل الروم فآكله من مغانم الروم»[٢].

وكانوا مع ما فيه من الشدة وقلة العيش في سعادة ورضا :

عن إِبْرَاهِيم بْن بَشَّارٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ، وَأَبُو يُوسُفَ الْغَسُولِيُّ، وَأَبُو عَبْدِ اللهِ السَّخَاوِيُّ وَنَحْنُ مُتَوَجِّهُونَ نُرِيدُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ، فَصِرْنَا إِلَى نَهَرٍ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْأُرْدُنِّ، فَقَعَدْنَا نَسْتَرِيحُ، فَقَرَّبَ أَبُو يُوسُفَ الْغَسُولِيُّ كُسَيْرَاتٍ يَابِسَاتٍ، فَأَكَلْنَا وَحَمِدْنَا اللهَ تَعَالَى، وَقَامَ أَحَدُنَا لِيَسْقِيَ إِبْرَاهِيمَ، فَسَارَعَهُ فَدَخَلَ النَّهَرَ حَتَّى بَلَغَ الْمَاءُ رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، فَشَرِبَ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ يَبْدَأُ ثَانِيَةً، فَقَالَ: بِسْمِ اللهِ، ثُمَّ شَرِبَ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَمَدَّ رِجْلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا يُوسُفَ، لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ، مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ السُّرُورِ وَالنَّعِيمِ إِذًا لَجَالَدُونَا عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ بِأَسْيَافِهِمْ أَيَّامَ الْحَيَاةِ عَلَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ وَقِلَّةِ التَّعَبِ، زَادَ جَعْفَرٌ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ طَلَبَ الْقَوْمُ الرَّاحَةَ وَالنَّعِيمَ، فَأَخْطَأُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا الْكَلَامُ؟»[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في «الورع» (٣٣٣) بسند صحيح.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨/ ٤٨٤) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٦٩) بسند حسن لحال إبراهيم بن بشار.

وعن الحسن، قال: قال صفوان بن محرز: إذا أتيت أهلي فقربوا إلي رغيفا فأكلته وشربت عليه من الماء فعلى الدنيا العفاء»[(١)].

وقال مسعر: «وجدت الجوع يطرده رغيف وملء الكف من ماء الفرات وقل الطعم عون للمصلي وكثر الطعم عون للسبات»[(٢)].

سماع أبي حاتم من شيوخه وهو في جوع شديد:

قال أبو حاتم: بقيت بالبصرة في سنة أربع عشرة ومائتين ثمانية أشهر وكان في نفسي أن أقيم سنة فانقطع نفقتي فجعلت أبيع ثياب بدني شيئا بعد شئ حتى بقيت بلا نفقة ومضيت أطوف مع صديق لي إلى المشيخة وأسمع منهم إلى المساء فانصرف رفيقي ورجعت إلى بيت خال فجعلت أشرب الماء الجوع ثم أصبحت من الغد وغدًا علي رفيقي فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد فانصرف عني وانصرفت جائعًا فلما كان من الغد غدًا على فقال مر بنا إلى المشايخ قلت أنا ضعيف لا يمكنني قال ما ضعفك ؟ قلت لا أكتمك أمرى قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئًا، فقال قد بقي معي دينار

---

(١) **صحيح بطريقيه:** أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ١٤٧)عن جعفر بن سليمان، والبلاذري في «أنساب الأشراف» (٤/ ٢١٦) عن حماد بن زيد، عن هشام، عن الحسن به، وهذا إسناد رجاله ثقات، هشام بن حسان يرسل عن الحسن.

وأخرجه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٣/ ١٥٠) قال: حدثنا إبراهيم بن إسحاق الحربي، نا خالد بن خداش، نا ابن عيينة، عن ابن شبرمة به. وهذا إسناد حسن لحال خالد بن خداش.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (١٦٢) بإسناد فيه ضعف لحال عبد الرحمن بن هانئ أكثر أهل العلم على تضعييفه.

فأنا أواسيك بنصفه ونجعل النصف الآخر في الكراء فخرجنا من البصرة وقبضت منه النصف دينار»[1].

وهذه قصة عجيبة في قوة تحمل طلاب العلم على الشدائد التي كادت أن تؤول بهم إلى الهلاك:

قال أبو حاتم الرازي: لما خرجنا من المدينة من عند داود الجعفري صرنا إلى الجار وركبنا البحر وكنا ثلاثة أنفس أبو زهير المرورزذي شيخ، وآخر نيسابوري فركبنا البحر وكانت الريح في وجوهنا فبقينا في البحر ثلاثة أشهر وضاقت صدورنا وفنى ما كان معنا من الزاد وبقيت بقية فخرجنا إلى البر فجعلنا نمشي أياما على البر حتى فنى ما كان معنا من الزاد والماء فمشينا يومًا وليلة لم يأكل أحد منا شيئًا ولا شربنا واليوم الثاني كمثل واليوم الثالث كل يوم نمشي إلى الليل فإذا جاء المساء صلينا وألقينا بأنفسنا حيث كنا وقد ضعفت أبداننا من الجوع والعطش والعياء، فلما أصبحنا اليوم الثالث جعلنا نمشي على قدر طاقتنا فسقط الشيخ مغشيًا عليه فجئنا نحركه وهو لا يعقل فتركناه ومشينا أنا وصاحبي النيسابوري قدر فرسخ أو فرسخين فضعفت وسقطت مغشيا علي ومضى صاحبي وتركني فلم يزل هو يمشي إذ بصر من بعيد قوما قد قربوا سفينتهم من البر ونزلوا على بئر موسى ﷺ فلما عاينهم لوح بثوبه إليهم فجاءوه معهم الماء في إداوة فسقوه وأخذوا بيده فقال لهم الحقوا رفيقين لي قد ألقوا بأنفسهم مغشيًا عليهم فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي ففتحت عيني.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٣٦٣) بسند صحيح.

فقلت: اسقني فصب من الماء في ركوة أو مشربة شيئا يسيرًا فشربت ورجعت إلي نفسي ولم يروني ذلك القدر.

فقلت: اسقني فسقاني شيئًا يسيرًا وأخذ بيدي.

فقلت: ورائي شيخ ملقى.

قال: قد ذهب إلى ذاك جماعة، فأخذ بيدي وأنا أمشي أجر رجلي ويسقيني شيئا بعد شئ حتى إذا بلغت إلى عند سفينتهم وأتوا برفيقي الثالث الشيخ وأحسنوا إلينا أهل السفينة فبقينا أيامًا حتى رجعت إلينا أنفسنا، ثم كتبوا لنا كتابًا إلى مدينة يقال لها راية إلى واليهم وزودونا من الكعك والسويق والماء فلم نزل نمشي حتى نفذ ما كان معنا من الماء والسويق والكعك فجعلنا نمشي جياعًا عطاشًا على شط البحر حتى وقعنا إلى سلحفاة قد رمى به البحر مثل الترس فعمدنا إلى حجر كبير فضربنا على ظهر السلحفاة فانفلق ظهره وإذا فيها مثل صفرة البيض فأخذنا من بعض الأصداف الملقى على شط البحر فجعلنا نغترف من ذلك الأصفر فنتحساه حتى سكن عنا الجوع والعطش، ثم مررنا وتحملنا حتى دخلنا مدينة الراية وأوصلنا الكتاب إلى عاملهم فأنزلنا في داره وأحسن إلينا وكان يقدم إلينا كل يوم القرع ويقول لخادمه هاتي لهم باليقطين المبارك فيقدم إلينا من ذاك اليقطين مع الخبز أياما فقال واحد منا بالفارسية: لا تدعو باللحم المشؤوم؟ وجعل يسمع الرجل صاحب الدار، فقال: أنا أحسن بالفارسية فإن جدتي كانت هروية فأتانا بعد ذلك باللحم، ثم خرجنا من هناك وزودنا إلى أن بلغنا مصر»[1].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٣٦٥، وما بعدها) بسند صحيح.

أبو حاتم الرازي يرحل على قدميه لطلب العلم:

عن عبد الرحمن، قال سمعت أبي يقول: أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين أحصيت ما مشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ: لم أزل أحصى حتى لما زاد على ألف فرسخ تركته، ما كنت سرت أنا من الكوفة إلى بغداد فما لا أحصى كم مرة ومن مكة إلى المدينة مرات كثيرة وخرجت من البحرين من قرب مدينة صلا إلى مصر ماشيًا ومن مصر إلى الرملة ماشيا ومن الرملة إلى بيت المقدس، ومن الرملة إلى عسقلان ومن الرملة إلى طبرية ومن طبرية إلى دمشق ومن دمشق إلى حمص ومن حمص إلى انطاكية ومن انطاكية إلى طرسوس ثم رجعت من طرسوس إلى حمص وكان بقى على شئ من حديث أبي اليمان فسمعت ثم خرجت من حمص إلى بيسان ومن بيسان إلى الرقة ومن الرقة ركبت الفرات إلى بغداد، وخرجت قبل خروجي إلى الشام من واسط إلى النيل ومن النيل إلى الكوفة، كل ذلك ماشيا كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة أجول سبع سنين، خرجت من الري سنة ثلاث عشرة ومائتين قدمنا الكوفة في شهر رمضان سنة ثلاث عشرة والمقرئ حي بمكة وجاءنا نعيه ونحن بالكوفة ورجعت سنة احدى وعشرين ومائتين، وخرجت المرة الثانية سنة اثنتين وأربعين ورجعت سنة خمس وأربعين أقمت ثلاث سنين وقدمت طرسوس سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة وكان واليها الحسن بن مصعب وكنت تنظر إلى الحسن كأنه محدث أحمر الرأس واللحية عليه قلنسوة حبرة وكنت

أشبهه بسنيد بن داود وربما رأيت الوالي فأظن أنه سنيد وربما اجتمعا فلا أميز بينهما وفي هذه السنة فتحت لؤلؤة وأنا بطرسوس»(١).

أصحاب أبي حاتم يشدونه بحبل ويرسلوه إلى الماء ليغتسل:

قال أبو حاتم: كنا في البحر فاحتلمت فأصبحت وأخبرت أصحابي به.

فقالوا لي: اغمس نفسك في البحر.

قلت: إني لا أحسن أن أسبح.

فقالوا: إنا نشد فيك حبلًا ونعلقك من الماء، فشدوا في حبلاً وأرسلوني في الماء وأنا في الهواء أريد إسباغ الوضوء.

فلما توضأت قلت لهم أرسلوني قليلًا فأرسلوني فغمست نفسي في الماء قلت أرفعوني فرفعوني»(٢).

محمد بن نصر المروزي ينفق في السنة على قوته وملابسه وطلبه عشرين درهما:

قال محمد بن عبد الوهاب الثقفي: كان إسماعيل بن أحمد والي خراسان يصل ابن نصر في السنة بأربعة آلاف درهم، ويصله أخوه إسحاق بمثلها، ويصله أهل سمرقند بمثلها، فينفق ذلك من غير أن يكون له عيال، فقيل له: لو ادخرت فقال: قوتي، وثيابي، وكاغذي(٣)، وحبري وجميع ما أنفقه على نفسي في السنة عشرون درهما، فترى إن ذهب ذا لا يبقى ذاك »(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٣٥٩) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٣٦٤) بسند صحيح.

(٣) بفتح الغين المعجمة: هو القرطاس، فارسي معرب.

(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٣/ ٣١٧)، وغيره بإسناد رجاله معدلون.

خيثمة بن سليمان[١] يؤسر من الأعداء وهو في رحلته في طلب العلم:

قال خيثمة بن سليمان بن حيدرة: كنت في البحر وقصدت جبلة[٢] أسمع من يوسف بن بحر وخرجت منها أريد أنطاكية لأسمع من يوسف بن سعيد بن المسلم فلقينا مركب من مراكب العدو فقاتلناهم وكنت ممن قاتل فسلم المركب قوم من مقدمه فأخذوني فضربوني ضربًا وجيعًا وكتبوا أسماء الأسرى.

فقالوا لي: اسمك؟

قلت: خيثمة.

قالوا: ابن من؟

قلت: ابن حيدرة.

فقالوا: اكتب حمار بن حمار[٣].

قال: فلما ضربوني سكرت ونمت فرأيت في النوم كأني في الآخرة وكأني أنظر إلى الجنة وعلى بابها من الحور العين جماعة يتلاعبن.

فقالت إحداهن لي: يا شقي أيش فاتك؟

---

(١) هو الإمام الثقة المعمر، محدث الشام، أبو الحسن، خيثمة بن سليمان بن حيدرة بن سليمان القرشي الشامي الأطرابلسي، مصنف «فضائل الصحابة» كان رحالا جوالا صاحب حديث.

(٢) بلد مشهور بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية.

(٣) وهذا من قلة أدبهم.

فقالت الأخرى: أيش فاته؟

قالت: لو كان قتل مع أصحابه كان في الجنة مع الحور العين.

فقالت لها الأخرى: يا فلانة لأن يرزقه الله الشهادة في عز من الإسلام وذل من الشرك خير من أن يرزقه شهادة في ذل من الإسلام وعز من الشرك ثم انتبهت وجعلت في الأسرى فرأيت في بعض الليالي في منامي كأن قائلًا يقول لي اقرأ: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ فقرأتها إلى أن بلغت: ﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ﴾.

قال: وانتبهت فعددت من ليلة الرؤيا أربعة أشهر ففك الله أسري»[(١)].

قال القاضي عياض في ترجمة «عبد الرحمن بن القاسم»:

«كنت أسمع من مالك كل يوم غلسًا إذا خرج من المسجد ثلاثة أحاديث، سوى ما أسمع مع الناس معه بالنهار، وفي رواية: كنت آتي مالكًا غلسًا، فأسأله عن مسألتين ثلاثة أربعة، وكنت أجد منه في ذلك الوقت انشراح صدر، فكنت آتي كل سحر، فتوسدت مرة في عتبته فغلبتني عيني، فنمت وخرج مالك

(١) **صحيح:** أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/ ٧١) قال: أخبرنا أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم الأصبهاني، أنا أبو الفضل المقدسي الحافظ، أنا أبو الحسن بن مكي بن الحسن الشيزري بحلب، أنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن محمد بن إسحاق بن أبي كامل بأطرابلس الشام به. وأبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم هو اليونارتي نعته الذهبي فقال: الشيخ الامام، المفيد الحافظ، وقال السمعاني: قال لي إسماعيل بن محمد الحافظ: ما كان له كبير معرفة، غير أنه كان نظيف الأجزاء. وقال يحيى بن منده: كان حافظًا لأحاديث رسول الله ﷺ، ولأطراف من الأدب والنحو، حسن الخلق، شجاعاً.

إلى المسجد فلم أشعر به، فركضتني سوداء له برجلها وقالت لي: إن مولاك قد خرج ليس يغفل كما تغفل أنت، اليوم له تسع وأربعون سنة ما صلى الصبح إلا بوضوء العتمة.

ظنت السوداء أنه مولاه من كثرة اختلافه إليه.

وفي جزء آخر قال: أنخت بباب مالك سبع عشرة سنة، ما بعت فيها ولا اشتريت شيئًا. قال: فبينما أنا عنده إذ أقبل حاج مصر، فإذا شاب متلثم دخل علينا فسلم على مالك. فقال أفيكم ابن القاسم؟ فأشير إلي فأقبل يقبل عيني ووجدت منه ريحًا طيبة، فإذا هي رائحة الولد وإذا هو ابني، وكان ترك أمه به حاملاً، وكانت ابنة عمه، وكان اسمع عبد الله، وكان خبر أمه عند سفره لطول إقامته فاختارا البقاء، ولم يذكر الناس عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم هذا في ولده، وسنذكرهم. ولعله مات شابـًا قبله والله أعلم»[(١)].

ومنهم من طاف الشرق والغرب من أجل طلب العلم:

قال الْبَاطِرْقَانِيُّ الْمُقْرِئُ فِي كِتَابِهِ: أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ اللهِ بْنَ مَنْدَهْ[(٢)] يَقُولُ: طُفْتُ الشَّرْقَ وَالْغَرْبَ مَرَّتَيْنِ»[(٣)].

---

(١) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (١/ ١٥٧).

(٢) هو الإمام الحافظ الجوال، محدث الإسلام، أبو عبد الله، محمد بن المحدث أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن مندة.

(٣) أخرجه محمد بن عمر المديني في جزءه «ذكر الإمام أبي عبد الله بن منده» (٨) بإسناد صحيح.

وكانوا يتذاكرون العلم - أحيانا - إلى الفجر:

أخرج أبو خيثمة في «العلم» (١٠٨) بإسناد صحيح عن ابن فضيل، عن أبيه، قال: كنا نجلس أنا وابن شبرمة والحارث العكلي والمغيرة والقعقاع بن يزيد بالليل نتذاكر الفقه فربما لم نقم حتى نسمع النداء لصلاة الفجر».

محمد بن إسماعيل البخاري يقطع تدوين العلم عليه نومه مرات في ليلة واحدة:

قال محمد بن يوسف الفربري: كنت عند محمد بن إسماعيل البخاري بمنزله ذات ليلة فأحصيت عليه أنه قام وأسرج يستذكر أشياء يعلقها في ليلة ثماني عشرة مرة»[1].

ضيق حال أبي الوليد الباجي في بداية طلبه للعلم:

قال القاضي عياض في ترجمة أبي الوليد الباجي: وكان في رحلته وأول وروده الأندلس مقلاً من دنياه حتى احتاج في سفره الى القصد بشعره، واستأجر نفسه مدة مقامه ببغداد فيما سمعته مستفيضاً لحراسة درب، فكان يستعين بإجارته على نفقته، وبضوئه على مطالعته. ثم ورد الأندلس، وحاله ضيّقة فكان يتولى ضرب ورق الذهب للغزل والأنزال ويعقد الوثائق، فلقد حدثني ثقة من أصحابه - والخبر في ذلك مشهور - أنه كان حينئذ يخرج إلينا إذا جئنا للقراءة عليه وفي يديه أثر المطرقة وصدأ العمل، الى أن فشا علمه وعرف وشهرت تواليفه، فعرف حقه وجاءته الدنيا وعظم جاهه وقرّبه

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢١٣)، وابن عساكر في «تاريخه» (٥٢/ ٧١) بإسناد ثابت.

الرؤساء وقدّروه قدره، واستعملوه في الأمانات والقضاء وأجزلوا صلاته. فاتسعت حاله وتوفر كسبه حتى مات عن مال وافر خطير»[١].

أبو يوسف[٢] يطلب العلم وهو مقل رث الحال:

وأخرج الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢٤٤) بإسناد رجاله معدلون عن أبي يوسف، قال: كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاء أبي يوما وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه فقال يا بني لا تمدن رجلك مع أبي حنيفة فإن أبا حنيفة خبزه مشوي وأنت تحتاج إلى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب آثرت طاعة أبي فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني فجعلت أتعاهد مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي ما شغلك عنا قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدي جلست فلما انصرف الناس دفع الي صرة وقال استمتع بهذه فنظرت فإذا فيها مائة درهم فقال لي الزم الحلقة وإذا نفذت هذه فأعلمني فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع الي مائة أخرى ثم كان يتعاهدني وما أعلمته نحلة قط ولا أخبرته بنفاذ شيء وكان كأنه يخبر بنفاذها حتى استغنيت وتمولت».

فقر بهز بن أسد[٣] وصبره:

وقال ابن هانىء: وسمعته يقول - يعني أبا عبد الله - : ما رأيت في بيت بهز

---

(١) «ترتيب المدارك» (٢/ ٧٢).

(٢) يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة كوفي سمع أبا إسحاق الشيباني وسليمان التيمي ويحيى بن الأنصاري وسليمان الأعمش وهشام بن عروة.

(٣) بهز بن أسد العمي، أبو الأسود البصري، وهو ثقة ثبت.

شيئًا أحسن من كتبه، وكان في بيته قماش، لو رميت به في الطريق لعله لم يكن يؤخذ، من الفقر الذي كان به[١].

شدة فقر عبدة بن سليمان[٢]:

عن صالح، قال سألت أبي عن عبدة بن سليمان؟، فقال: ثقة ثقة وزيادة مع صلاح بدنه، وكان شديد الفقر»[٣].

وهؤلاء جماعة من الفقهاء يعيشون في فقر وضيق من العيش:

ذكر أبو علي بن شوكة قال: اجتمعنا جماعة من الفقهاء فدخلنا على القاضي أبي علي بن أبي موسى الهاشمي فذكرنا له فقرنا وشدة ضرنا فقال لنا: اصبروا فإن الله سيرزقكم ويوسع عليكم وأحدثكم في مثل هذا بما تطيب به قلوبكم: أذكر سنة من السنين وقد ضاق بي الأمر شيء عظيم حتى بعت رجل داري ونفد جميعه ونقضت الطبقة الوسطى من داري وبعت أخشابها وتقوت بثمنها وقعدت في البيت فلم أخرج وبقيت سنة فلما كان بعد سنة قالت لي المرأة: الباب يدق فقلت لها افتحي الباب ففعلت فدخل رجل فسلم علي فلما رأى حالي لم يجلس حتى أنشدني وهو قائم:

ليس من شده تصيبك إلا سوف ... تمضي وسوف تكشف كشفا
لا يضق ذرعك الرحيب فإن ... النار يعلو لهيبها ثم تطفا

(١) «سؤالاته» (٢١٩٨).

(٢) عبدة بن سليمان الكلابي أبو محمد، وكلاب أخو رؤاس بن قيس عيلان.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/ ٨٩) بإسناد صحيح.

قد رأينا من كان أشفى على الهلا ... ك فوافت نجاته حين أشفى

ثم خرج عني ولم يقعد فتفاءلت بقوله فلم يخرج اليوم عني حتى جاءني رسول القادر بالله ومعه ثياب ودنانير وبغلة بمركب ثم قال لي: أجب أمير المؤمنين وسلم إلي الدنانير والثياب والبغلة فغيرت عن حالي ودخلت الحمام وصرت إلى القادر بالله فرد إلي قضاء الكوفة وأعمالها وأثرى حالي أو كما قال»[1].

إبراهيم الحربي[2] يصبر طلبته على شدة العيش بما عاشه من فقر وشدة:

أخرج ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٨٧) بإسناد صحيح عن أحمد بن سليمان القطيعي، قال: أضقت إضاقة فمضيت إلى إبراهيم الحربي لأبثه ما أنا فيه فقال: لي لا يضيق صدرك فإن الله من وراء المعونة وإني أضقت مرة حتى انتهى أمري في الإضاقة إلى أن عدم عيالي قوتهم فقالت لي الزوجة هب أني أنا وإياك نصبر فكيف نصنع بهاتين الصبيتين فهات شيئًا من كتبك حتى نبيعه أو نرهنه فضننت بذلك وقلت: أقترضي لهما شيئًا وأنظريني بقية اليوم والليلة وكان لي بيت في دهليز داري فيه كتبي فكنت أجلس فيه للنسخ وللنظر فلما كان في تلك الليلة إذا داق يدق الباب فقلت: من هذا فقال: رجل من الجيران فقلت: ادخل فقال: أطفىء السراج حتى أدخل فكببت على السراج شيئًا وقلت: أدخل فدخل وترك إلى جانبي شيئًا وأنصرف فكشفت عن السراج ونظرت فإذا منديل له قيمة وفيه أنواع من الطعام كاغد فيه

---

(١) «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٨٥).

(٢) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم أبو إسحاق الحربي.

خمسمائة درهم فدعوت الزوجة وقلت: أنبهي الصبيان حتى يأكلوا ولما كان من الغد قضينا دينا كان علينا من تلك الدراهم وكان وقت مجيء الحاج من خراسان فجلست على بابي من غد تلك الليلة فإذا جمال يقود جملين عليهما حملان ورقا وهو يسأل عن منزل الحربي فانتهى إلي فقلت: أنا إبراهيم فحط الحملين وقال هذان الحملان أنفذهما لك رجل من خراسان فقلت: من هو فقال: قد استحلفني أن لا أقول من هو».

وعن أبي القاسم بن بكير، قال: سمعت إبراهيم الحربي، يقول: ما كنا نعرف من هذه الأطبخة شيئا كنت أجيء من عشى إلي عشى وقد هيأت لي أمي باذنجانة مشوية، أو لعقة بن، أو باقة فجل[1].

وقال عمر سمعت أبا علي الخياط المعروف بالميت يقول كنت يوما جالسا مع إبراهيم على باب داره فلما أن أصبحنا قال لي يا أبا علي قم إلى شغلك فإن عندي فجلة قد أكلت البارحة خضرها أقوم أتغذى بجزرتها»[2].

وها هو رَحِمَهُ اللَّهُ يصبر ابنته على خوفها من الفقر:

وأخرج الخطيب في «تايخ بغداد» (٦/ ٣٣)، وغيره بإسناد صحيح عن أبي القاسم بن الجبلي، قال: اعتل إبراهيم الحربي علة حتى أشرف على الموت فدخلت إليه يوما، فقال لي: يا أبا القاسم أنا في أمر عظيم مع ابنتي، ثم قال لها: قومي اخرجي إلى عمك فخرجت، فألقت على وجهها خمارها، فقال إبراهيم: هذا عمك كلميه، فقالت لي: يا عم نحن في أمر عظيم لا في الدنيا ولا

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣١) بسند صحيح.

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣١) بسند صحيح.

في الآخرة الشهر والدهر ما لنا طعام الا كسر يابسة وملح، وربما عدمنا الملح، وبالأمس قد وجه إليه المعتضد مع بدر ألف دينار فلم يأخذها، ووجه إليه فلان وفلان فلم يأخذ منها شيئا وهو ، فالتفت الحربي إليها وتبسم، فقال لها: يا بنية إنما خفت الفقر؟، قالت: نعم، فقال لها: انظري إلى تلك الزاوية، فنظرت فإذا كتب، فقال: هناك اثنا عشر ألف جزء لغة وغريب كتبتها بخطي إذا مت فوجهي في كل يوم بجزء تبيعيه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم ليس هو فقير».

عناء وجهد تصنيف العلماء للكتب:

عن أبي عمران الأشيب، قال: قال رجل لإبراهيم الحربي: كيف قويت على جميع هذه الكتب؟، قال: فغضب، وقال: بلحمي ودمي»[1].

وهذه مواقف من صبر إبراهيم الحربي على شدائد الحياة:

عن أبي بكر بن أيوب العكبري، قال سعمت الحربي يعني إبراهيم يقول: ما تروحت ولا روحت قط، ولا أكلت من شيء واحد في يوم مرتين»[2].

وكان الفقر وقلة الزاد يدفعهم لشراء الطعام رخيص الثمن:

عن أبي حفص بن شاهين، قال: سمعت أبا بكر بن أبي داود يقول: دخلت الكوفة ومعي درهم واحد فاشتريت به ثلاثين مدا باقلاء، فكنت آكل منه كل

(١) أخرجه الخطيب في «تايخ بغداد» (٦/ ٣٣) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه الخطيب في «تايخ بغداد» (٦/ ٣٢) بإسناد صحيح.

يوم مدا وأكتب عن أبى سعيد الأشج ألف حديث فلما كان الشهر حصل معي ثلاثين ألف حديث قال أبو ذر من بين مقطوع ومرسل وموقف»[(١)].

وقال أبو بكر البرقاني: دخلت إسفرايين ومعي ثلاثة دنانير ودرهم واحد فضاعت الدنانير منى وبقى معي الدرهم حسب فدفعته إلى بقال وكنت آخذ منه في كل يوم رغيفين وآخذ من بشر بن أحمد جزءا من حديثه وأدخل مسجد الجامع فأكتبه وأنصرف بالعشي وقد فرغت منه فكتبت في مدة شهر ثلاثين جزءا ثم نفذ ما كان لي عند البقال فخرجت عن البلد» أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٧٥) بإسناد صحيح.



(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٦٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٩/ ٨١) بإسناد صحيح.

الفهرس

مقدمة المؤلف ٣
صبر نبي الله إسماعيل عليه السلام على قلة العيش وشدائد الحياة: ٨
صبر نبي الله موسى عليه السلام في رحلته للعلم مع الخضر عليه السلام: ٩
صبر النبي صلى الله عليه وسلم وتحمله لقلة العيش: ١١
لم يأكل خبزا ملينا محسنا إلى أن مات صلى الله عليه وسلم: ١١
قلة ما كان يأكل صلى الله عليه وسلم وزوجاته رضي الله عنهن: ١٣
وكانوا يمكثون الشهرين المتتابعين لا يوقد في بيوتهم نار: ١٤
حتى التمر الرديئ لم يجده صلى الله عليه وسلم كي يسد جوعه: ١٦
ومن شدة ما كانوا فيه كانت بعض ولائمهم ليس فيها لحم ولا خبز: ... ١٦
أكل النبي صلى الله عليه وسلم للتمر مقعيا من الجوع: ١٧
وكان الجوع يعرف من أصواتهم لضعفهم: ١٧
تعصيب النبي صلى الله عليه وسلم بطنه بعصابة من الجوع وهو يحدث أصحابه رضي الله عنهم: . ١٨
وكان غالب طعام طلاب العلم من الصحابة الكرام رضي الله عنهم التمر: ١٩
وربما كانوا لا يجدون إلا القليل من التمر: ٢٢
وكان عامة خبزهم الشعير: ٢٣
ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته في بيت عائشة رضي الله عنها: ٢٣
صبر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم على قلة العيش بعد موته صلى الله عليه وسلم: ٢٤
وكان طلاب العلم من الصحابة رضي الله عنهم تكاد أن تذهب أسماعهم وأبصارهم
من الجوع والمشقة ومع ذلك كانوا يصبرون: ٢٤
وكانوا يصبرون على أكل الطعام متغير الريح والطعم: ٢٦
ومن صبرهم رضي الله عنهم على شدة العيش فرحهم بالطعام الذي لا يرضاه كثير من

طلاب العلم بعدهم: ٢٧
وكان ﷺ ينام على حصير يؤثر في جنبه وينام على فراش من جلد مدبوغ ٢٨
وصف بيت رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ومدى تحمله ﷺ وأهل بيته: ٢٩
وكان بيوت النبي ﷺ ليس فيها مصابيح: ٣٠
وكان سقف بيوتهم يمسك بجذوع النخل: ٣٠
وكانت بسطهم تصنع من جريد النخل: ٣٢
لبسهم للصوف في الحر والبرد وتحملهم للروائح الكريهة بسبب لبسه: ٣٢
وكانوا يلبسون الكتان: ٣٣
طلاب العلم من أهل الصفة يربطون ثيابهم في أعناقهم لقصرهما حتى لا
ترى عوراتهم: ٣٣
مصعب بن عمير رضي الله عنه لم يجدوا له كفنا يواري رأسه وقدميه: ٣٤
وكانوا يأكلون الخبز الخشن واللحم الغليظ: ٣٥
عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشتهي أكل الجراد المقلي: ٣٥
احتراق بطون طلاب العلم من أهل الصفة من كثرة أكل التمر واختراق
ثيابهم من الكتان بسبب طول لبسها: ٣٦
صبر أبي هريرة رضي الله عنه وهو يتعلم السنة على شدائد الحياة: ٣٧
صبر الصحابة في أول الإسلام على قلة العيش وأكلهم لورق الشجر: .. ٤١
تحملهم شدة الجوع وجهد العمل: ٤٤
لم يكن لهم مناديل فكانوا يتخذون أكفهم وسواعدهم وأقدامهم: ٤٥
كان علماء الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يجوعون مرة ويشبعون مرة: ٤٦
وكانوا ربما يبيتون وأولادهم من غير عشاء: ٤٧
وكان يمر عليهم الشهر لا يخبزون لضيق الحال: ٤٨

تحمل سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للمتاعب في رحلته للوصول إلى الحق: .. ٤٨
فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تشتكي ما تلقى من الرحى مما تطحن: ٥٣
استغناؤهم عن بعض أصناف الطعام رغم حبهم له: ٥٥
احتمال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا العناء والمشقة في طلبه للعلم: ٥٥
أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتحمل المشقة والمخاطر لتعلم الحق: ٥٦
ضيق عيش الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأهل بيته وقلة عيشهم: ٦٢
تحمل أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لشدة العيش: ٦٣
قلة ما كان عندهم من طعام: ٦٤
جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يشتري بعيرا ويرحل شهرا لطلب حديث: ٦٤
ومن ضيق ما كانوا فيه كانوا يكتبون بأطراف القصب على أكفهم: ٦٥
شعبة بن الحجاج يبيع طستا لأمه لشدة فقره: ٦٥
صبر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري على طلب العلم وتعليمه: ٦٧
وكان الضيق والشدة أيام الطلب لا تدفعهم على الحرص بعد رزقهم بالمال الكثير: ٦٧
زياد بن سعد لا يجد نفقة ينفقها على نفسه في طلب العلم فيكقله شيخه ابن شهاب الزهري: ٦٧
ومن حبهم لطلب العلم طلبهم له بالليل وهم يسيرون مع مشايخهم في الطريق: ٦٨
مكحول يرحل إلى البلاد شرقا وغربا يتحمل المشقة من أجل العلم: .. ٦٨
الشافعي لا يجد أجرة معلم القرآن، ولا يجد ما يشتري به ورقا يكتب عليه العلم لضيق العيش والفقر: ٦٨
إفلاس الشافعي في طلبه للعلم وبيعه لحلي زوجته وابنته: ٦٩

تحمل ابن الجوزي الفقر وفقده لماله بسبب الرحلة لطلب العلم: ٧٠
عمل أحمد بن حنبل أجيرا مع الحمالين لانقطاع نفقته: ٧٢
استعذاب طلاب العلم للتعب والجهد في الرحلة لطلب العلم لاستشعارهم عظم البضاعة: ٧٤
وهذا أحمد بن حنبل يغشى عليه في مجلس ابن عيينة: ٧٤
سرقة ثياب أحمد بن حنبل وهو يطلب العلم وتغيبه عن حلقات العلم: ٧٥
شدة وضيق معيشة إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل: ٧٥
خوف السلف من فساد المال لدينهم وإيثارهم الفقر والشدة: ٨٢
بيع أبي زرعة لثوبيه لشراء الورق: ٨٢
رضا أهل العلم بالقليل من العيش: ٨٣
وكانوا يصبحون لا يمتلكون دينارا ولا درهما: ٨٥
داود الطائي يبل الخبز اليابس في الماء، وكان يفطر على رغيفين وملح وماء:
القاسم بن بن عبد الرحمن يفطر كل يوم على رغيف: ٨٦
بشر بن الحارث يشتهي الباذنجان عشرين عاما: ٨٧
وكانوا يصومون ولا يجدون ما يفطرون به: ٨٦
زهير بن محمد يشتهي اللحم أربعين سنة: ٨٧
وكانوا مع ما فيه من الشدة وقلة العيش في سعادة ورضا: ٨٧
سماع أبي حاتم من شيوخه وهو في جوع شديد: ٨٨
وهذه قصة عجيبة في قوة تحمل طلاب العلم على الشدائد التي كادت أن تؤول بهم إلى الهلاك: ٨٩
أبو حاتم الرازي يرحل على قدميه لطلب العلم: ٩١
محمد بن نصر المروزي ينفق في السنة على قوته وملابسه وطلبه عشرين

درهما: ٩٢
ومنهم من طاف الشرق والغرب من أجل طلب العلم: ٩٥
وكانوا يتذاكرون العلم - أحيانا - إلى الفجر: ٩٦
محمد بن إسماعيل البخاري يقطع تدوين العلم عليه نومه مرات في ليلة واحدة: ٩٦
ضيق حال أبي الوليد الباجي في بداية طلبه للعلم: ٩٦
أبو يوسف يطلب العلم وهو مقل رث الحال: ٩٧
فقر بهز بن أسد وصبره: ٩٨
شدة فقر عبدة بن سليمان: ٩٨
وهؤلاء جماعة من الفقهاء يعيشون في فقر وضيق من العيش: ٩٨
إبراهيم الحربي يصبر طلبته على شدة العيش بما عاشه من فقر وشدة: . ٩٩
وها هو رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصبر ابنته على خوفها من الفقر: ١٠٠
عناء وجهد تصنيف العلماء للكتب: ١٠١
وهذه مواقف من صبر إبراهيم الحربي على شدائد الحياة: ١٠١
الفهرس ١٠٣

